الفرقان

تحت شعار «الكويت بجانبكم»

الكويت تطلق حملة وطنية لدعم القطاع الصحي في اليمن

العدد ١٣٣١ - الاثنين ٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ - ١٦/ ١١/ ٢٠٢٦م

دراسة نفسية اجتماعية في ضوء المقاصد الشرعية

الأطفال بعد الطلاق.. معاناة صامتة ومسؤولية لا تنتهي



رعاية الأبناء مسؤولية لاتنتهي بانفصال الوالدين فالطلاق ينهي العلاقة الزوجية لكنه لا ينهي مسؤولية الأبوة والأمومة

السنة التاسعة عشرة
أكتوبر 2026

العدد 143

أجيالنا

العدد الجديد

سوالف «عميمة حصّة»
ديرة نحبها

لغز «الكوخ المهجور»

من صنع كل هذا؟!



مرح وتسلية
وغرس قيم إسلامية

@ajialna.q8
للاستفسار 96903524

بـخـور الـبـيـت
Bakhoor Al-Bait

5 Tola (60g) ∈ 2.1 Fl.Oz.



الشايع

SINCE 1928 منذ

الشـــايـــع للعطـــور

AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com

@alshayaperfumes

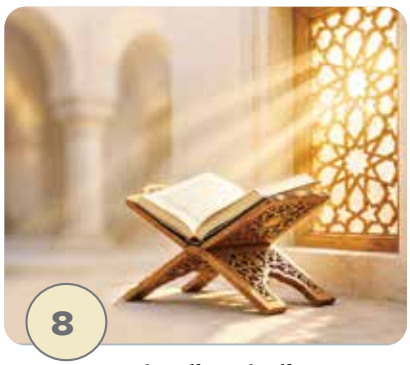
العدد ١٣٣١ - الاثنين ٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦/١١/١٦م

Al-Forqan Magazine

في هذا العدد



6 الكويت تطلق حملة وطنية لدعم القطاع الصحي في اليمن



8 العلم والعدل: ميزان الحكم على الناس



19 الأطفال بعد الطلاق.. معاناة صامتة ومسؤولية لا تنتهي



31 القدوة الصالحة وأثرها في المجتمع

12 الشيخ السبت: إن هذا الدين يسر

14 جهود دعاة التوحيد في ترسيخ الإخلاص والاتباع

34 خطورة التكفير بغير حق

36 الخطأ لا يُستدام ولكن يُرجَع عنه

42 أثر الأفكار النسوية في استقرار الأسرة

46 أوراق صحفية: جنود ليسوا مجهولين

الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر
عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة

طارق سامي العيسى

رئيس التحرير

سالم أحمد الناشي

تواصل معنا

ص.ب: 27271 الصفاة
الكويت الرمز البريدي: 13133
P.O.Box 5220 Safat,
Kuwait Postal Code No. 13053
: +965 25362733 - 25348664
الخط الساخن : +965 97288994
: +965 25362740
: forqany@hotmail.com
: www.al_forqan.net
: @al_forqan
: @al_forqan

الاشتراكات

للاشتراك داخل الكويت
تلفون : 98654239

نشكر دعمكم

حساب مجلة الفرقان
البنك الدولي
121010000387

الافتتاحية

التوحيد أصل وحدة الأمة

ما من شيء يحتاجه الناس في أمور دينهم إلا بيّنه الله أتم البيان، وما من مصلحة دنيوية إلا أرشدهم إليها؛ قال -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، وأول ما أمر الله به رسوله -ﷺ- توحيده -سبحانه-، وأول ما نهاه عنه الشرك به، فكان أول ما قام به سيد البشر -ﷺ- تعريف الناس بربهم، وبما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ لأن من لم يعرف الله ولم ينزهه عن كل نقص لا يمكن أن يعبده حق عبادته.

وركن الإسلام الأول شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ فمعنى «لا إله إلا الله»: لا معبود بحق إلا الله، أي: إخلاص العبادة كلها له وحده -سبحانه-، وإبطال عبادة ما سواه. ومعنى «محمد رسول الله»: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وعبادة الله بسنته، مع محبة صادقة، فيقدم قوله على قول كل أحد.

وقد أدرك مشركو قريش عظمة هذه الكلمة، فنفروا منها وحاربوها؛ لذلك لما قال «لا إله إلا الله» قاموا فزعين: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾. لقد فهموا أنها منهج حياة جديد، يقتضي أن يكون الدعاء والتوكل والرجاء والخوف والاستغاثة والنذر لله وحده، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا قبر.

وقد توحد المسلمون في النطق بالشهادتين؛ فحق عليهم أن يتوحدوا في العمل بمعانيهما، وأول ذلك اعتقاد عقيدة رسول الله -ﷺ- وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وهي عقيدة الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة؛ يثبتون لله أسماءه وصفاته إثبات وجود وحقيقة، وينفون عنها الكيفية والتشبيه، على ما تقرر في قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فهو إثبات بلا تمثيل ولا تأويل ولا إلحاد، وتنزيه بلا تعطيل.

وفي الجانب الآخر إذا غاب هذا التوحيد عن الأمة ظهرت آثاره في واقعها؛ فتفرقت كلمتها بعد اجتماعها، وتنازعت بعد ائتلافها، وصدق فيها قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، فحين تتعدد مصادر التلقي في فهم العقيدة، وتُقدّم الأهواء والآراء على نصوص الوحي، تتشتت القلوب وإن اجتمعت الأبدان.

كما يضعف غياب التوحيد تعظيم الله في النفوس، فيتسلل التعلق بغيره، وتفشو البدع والخرافات، ويضعف التوكل واليقين، فتهون الأمَّة على أعدائها، ويطمع فيها من كانت تهابه، وقد حذّر النبي -ﷺ- من الفرقة، وبيّن أن النجاة في لزوم ما كان عليه هو وأصحابه؛ فقال في الفرقة الناجية: «ما أنا عليه وأصحابي».

ولذا فلا سبيل إلى استعادة العزة والوحدة إلا بالرجوع إلى الأصل الذي اجتمعت عليه القرون الأولى: توحيد خالص لله، واتباع صادق لرسوله -ﷺ-، وفهم للنصوص على منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، وقتها يتحقق وعد الله -تعالى- القائل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

تحت شعار «الكويت بجانبكم»

الكويت تطلق حملة وطنية لدعم القطاع الصحي في اليمن

أطلقت دولة الكويت، الثلاثاء ١٠ نوفمبر ٢٠٢٦، حملة وطنية لإغاثة الأشقاء في الجمهورية اليمنية، تحت شعار «إغاثة اليمن»، ضمن حملة «الكويت بجانبكم»، بالتنسيق بين وزارتي الخارجية والشؤون الاجتماعية، وبمشاركة جمعية إحياء التراث الإسلامي والجمعيات الخيرية الكويتية، وتنفيذ جمعية صندوق إعانة المرضى؛ بهدف دعم القطاع الصحي اليمني وتوفير احتياجات المستشفيات والمرافق الطبية من الأجهزة والمعدات والأدوية والمستلزمات العلاجية، في إطار الجهود الكويتية المتواصلة لمساندة الشعوب الشقيقة والتخفيف من معاناتها.



واستمرت الحملة ثلاثة أيام، من ١٠ إلى ١٢ نوفمبر الجاري، بمشاركة واسعة من الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وبإسهامات من مختلف قطاعات المجتمع الكويتي، بما يعكس روح التكافل والتضامن التي تميز العمل الإنساني في دولة الكويت.

توفير الأجهزة والأدوية والمستلزمات الطبية

وتأتي الحملة استجابة للاحتياجات الصحية العاجلة التي حددتها وزارة الصحة اليمنية عبر القنوات الرسمية، بهدف تعزيز قدرات المستشفيات والمراكز الصحية على تقديم خدماتها العلاجية للمرضى والمحتاجين.

وتشمل المساعدات ثلاث فئات رئيسية، هي الأجهزة والمعدات الطبية، والأدوية، والمستلزمات الطبية، ومن أبرزها سيارات الإسعاف، وتجهيزات المستشفيات الميدانية، وأجهزة غسيل الكلى، والأدوية الأساسية، والمستلزمات المستخدمة في غرف العمليات والمرافق العلاجية، وتستهدف الحملة تلبية أكبر قدر ممكن من الاحتياجات الطبية الملحة، دون تحديد مبلغ إجمالي مستهدف لجمع التبرعات، مع إعطاء الأولوية للمرافق الصحية والمرضى الأشد احتياجًا.

صندوق إعانة المرضى: تنسيق المساعدات وإيصالها

وقد أُسند إلى جمعية صندوق إعانة المرضى دور محوري في تنسيق جهود الجمعيات الخيرية المشاركة، وتنظيم عمليات جمع التبرعات وشراء الأجهزة والأدوية والمستلزمات الطبية وتجهيزها وشحنها، وفق الضوابط المعتمدة من وزارة الشؤون الاجتماعية.

وتتولى الجمعيات المشاركة جمع التبرعات عبر روابطها الإلكترونية المرخصة، ثم شراء الاحتياجات الطبية من السوق المحلي وتسليمها إلى صندوق إعانة المرضى، أو تحويل حصيلة التبرعات إليه بعد استيفاء الموافقات الرسمية، للاستفادة من عمليات الشراء الموحدة، وتوفير أكبر قدر ممكن من المستلزمات المطلوبة.

ومن المقرر نقل المساعدات عبر قافلة إغاثية إلى الحدود السعودية اليمنية، تمهيدًا لتسليمها إلى الجهات الحكومية اليمنية المختصة، بالتنسيق مع الجهات الرسمية، لضمان وصولها إلى المستشفيات والمرافق الصحية المستفيدة.

الشرهان: الحملة امتداد لرسالة الكويت الإنسانية

وبهذه المناسبة، صرّح رئيس جمعية صندوق إعانة المرضى، د. محمد الشرهان، بأن إطلاق الحملة يأتي انطلاقًا من النهج



الإنساني الراسخ لدولة الكويت في إغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج، وتجسيدًا لقيم التضامن والتكافل مع الشعوب الشقيقة، ولا سيما في الظروف الإنسانية والصحية الصعبة التي تمر بها الجمهورية اليمنية.

وقال الشرهان: «إن حملة الكويت بجانبكم تمثل صورة مشرقة من صور العطاء الكويتي، وتؤكد استمرار رسالة الكويت الإنسانية في مد يد العون إلى الأشقاء، والمساهمة في تخفيف معاناتهم وتوفير احتياجاتهم الأساسية، وفي مقدمتها الرعاية الصحية والعلاجية».

وأوضح أن الحملة نُظمت بالتنسيق بين وزارتي الخارجية والشؤون الاجتماعية، وقد كُلّفت جمعية صندوق إعانة المرضى بالتنسيق مع الجمعيات الخيرية الزميلة لتنظيم جمع التبرعات وتجهيز المساعدات الطبية، تمهيدًا لإرسالها إلى الجمهورية اليمنية وتسليمها إلى الجهات الرسمية المختصة، بالتعاون مع وزارة الصحة اليمنية، لضمان وصولها إلى المستفيدين.

وأضاف أن الحملة، التي تستمر ثلاثة أيام، شهدت مشاركة من قطاعات ومؤسسات مختلفة، وتفاعلًا شعبيًا يعكس حرص أهل الكويت على الوقوف إلى جانب أشقائهم في اليمن، مؤكدًا أن تكاتف الجهات الرسمية والجمعيات الخيرية والمؤسسات والأفراد يمثل ركيزة أساسية لنجاح مثل هذه المبادرات الإنسانية.

• د. الشرهان: تجسد الحملة نهج الكويت الإنساني في إغاثة المحتاجين وإنقاذ الأرواح وتخفيف معاناة المرضى

• تأتي الحملة استجابة للاحتياجات الصحية العاجلة التي حددتها وزارة الصحة اليمنية بهدف تعزيز قدرات المستشفيات والمراكز الصحية لتقديم خدماتها العلاجية للمرضى والمحتاجين

إنقاذ الأرواح وتخفيف المعاناة

وأكد الشرهان أن أهمية الحملة تتجاوز جمع التبرعات وتوفير المساعدات الطبية، لتلامس حياة المرضى ومعاناتهم اليومية، وتسهم في إنقاذ الأرواح، وتوفير فرص العلاج، ودعم المرافق الصحية التي تواجه تحديات كبيرة في أداء رسالتها الإنسانية.

وقال: «إن هذه الحملة ليست مجرد عملية لجمع التبرعات وإيصال المساعدات، وإنما هي رسالة إنسانية تستهدف إنقاذ الأرواح، وتخفيف الآلام، والمساهمة في شفاء المرضى، وزرع الأمل في نفوس المحتاجين، نحو حياة أفضل يسودها الأمن والأمان بإذن الله».

وشدد على أن دعم القطاع الصحي يمثل أحد أهم مجالات العمل الإنساني؛ لما له من

• حملة «الكويت بجانبكم» تبعث برسالة راسخة مفادها أن العمل الخيري الكويتي لا يقف عند حدود تقديم المساعدات بل يمتد إلى حماية الإنسان وصون حياته وإحياء الأمل في مستقبله



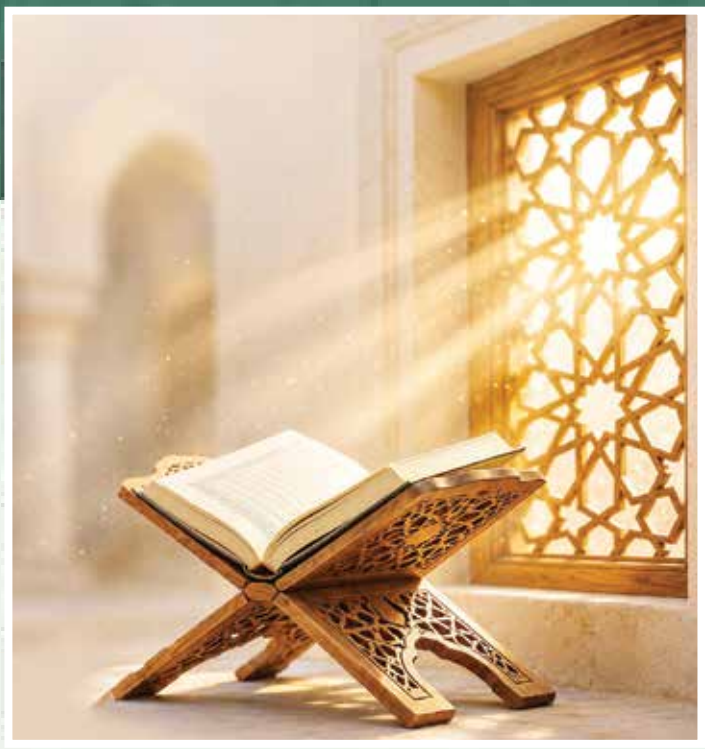
أثر مباشر في حماية حياة الإنسان وصون كرامته، مؤكدًا أن توفير الدواء والمعدات الطبية للمستشفيات يسهم في تخفيف معاناة آلاف المرضى وأسرهم.

شكر للقيادة السياسية والجهات المشاركة

وفي ختام تصريحه، تقدم الشرهان بخالص الشكر والتقدير إلى القيادة السياسية والحكومة الكويتية على دعمهما المتواصل للعمل الإنساني، مثمنًا جهود وزارتي الخارجية والشؤون الاجتماعية في تنظيم الحملة وتنسيقها، وتيسير مشاركة الجمعيات الخيرية في تنفيذها، كما أعرب عن شكره للجمعيات الخيرية الزميلة وجميع المؤسسات والجهات المشاركة، ولأهل الخير والمحسنين الذين أسهموا في دعم الحملة، مؤكدًا أن هذا التعاون يعكس وحدة الجهود الكويتية في خدمة القضايا الإنسانية، سائلا الله -تعالى- أن يتقبل هذه الجهود، وأن يجعلها في موازين حسنات القائمين عليها والداعمين لها، وأن يخفف معاناة الشعب اليمني الشقيق، ويديم على الكويت نعمة الأمن والأمان والعطاء.

وأكد د. الشرهان أن حملة «الكويت بجانبكم» تجسد رسالة راسخة، مفادها: أن العمل الخيري الكويتي لا يقف عند حدود تقديم المساعدات، بل يمتد إلى حماية الإنسان وصون حياته وإحياء الأمل في مستقبله.

• خطورة الكلام في الناس لا تقف عند آثاره في الدنيا بل تمتد إلى يوم القيامة حيث تستوفى الحقوق ويحاسب العبد على ما نطق به لسانه



العلم والعدل: ميزان الحكم على الناس

الشيخ: محمد السنين

من القواعد الشرعية والأخلاقية العظيمة التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه منهاج السُنَّة النبويَّة قوله: «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم»، وهي قاعدة جامعة تضبط اللسان، وتقوّم الأحكام، وتصون الأعراض؛ إذ لا يجوز للمسلم أن يتحدث عن الأفراد أو الجماعات، أو يحكم على أقوالهم ومواقفهم، إلا بعد التثبت من الحقائق، والتحقق من المعلومات، والتجرد من الهوى والتعصب.

فالعلم يحفظ الإنسان من القول بغير بينة، والعدل يمنعه من الجور في الحكم، ولا يستقيم أحدهما دون الآخر؛ فقد يعلم المرء الحقيقة ثم يحمله الهوى على تحريفها، وقد يريد الإنصاف لكنه يفتقر إلى العلم الذي يهديه إلى الصواب.

وقد جمع القرآن الكريم هذين الأصلين في آيات محكمات؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨)، فلا يجوز أن يكون الحب سببًا في تبرير الخطأ، ولا البغض ذريعة إلى الظلم؛ لأن العدل عبادة يتقرب بها المؤمن إلى الله، لا موقفًا يتغير بتغير العلاقات والخصومات.

الإنصاف مع المخالف من كمال الاتباع

لقد جعل الإسلام العدل واجبًا مع الموافق والمخالف، والصديق والعدو، والمسلم وغير المسلم، فلا تسقط حقوق الإنسان لمجرد الاختلاف معه، ولا يجوز أن تتحول الخصومة إلى مبرر للكذب عليه أو بخسه حقه، ومن هنا قرر ابن تيمية -رحمه الله- أن أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، وأن كلام أهل السنة مع الكفار وأهل البدع ينبغي أن يقوم على العلم والإنصاف، لا على الظنون والأهواء.

وهذا المنهج لا يعني الدفاع عن البدع، أو التهوين من الانحرافات العقدية، أو التنازل عن الحق؛ بل يعني أن يكون بيان الخطأ والرد عليه منضبطًا بالشرع، قائمًا على الحجة، بعيدًا عن الظلم والعدوان، وإذا كان العدل واجبًا مع من يخالف في أصول الاعتقاد، فهو أولى وأوجب في التعامل مع المسلم الذي يشاركنا أصول الدين، ويخالفنا في مسائل اجتهادية تتسع لها الصدور وتختلف فيها الأنظار، فليس كل خلاف موجبًا للتبديع، ولا كل خطأ مسوغًا للتشهير، ولا كل اجتهاد مخالف دليلًا على فساد القصد أو المنهج.

أعراض المسلمين حرمة ومسؤولية

ومن أبلغ ما قيل في التحذير من التسرع في الحكم على الناس قول الإمام ابن دقيق العيد -رحمه الله-: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون والحكام»، والمقصود بالمحدثين هنا علماء الجرح والتعديل، الذين يتكلمون في أحوال رواة الحديث حمايةً للسنة وتمييزًا لصحيح الروايات من ضعيفها، أما الحكام فالمراد بهم القضاة الذين يفصلون في الخصومات ويحكمون بين الناس، ومع أن الكلام في أحوال الرجال والحكم بينهم

• حفظ اللسانِ عن أعراض الناس ليس ضعفًا في نصرة الحق ولا تهاونًا في مواجهة الباطل وإنما هو علامة على التقوى ودليل على رسوخ العلم وحسن الفقه

• فلنزن أقوالنا بميزان العلم والعدل، ولنحذر أن تتحول خلافاتنا إلى خصومات تستباح فيها الأعراض

من صميم مسؤولية هؤلاء، فإنهم يقفون على خطر عظيم؛ لأن الخطأ في هذا الباب قد يؤدي إلى ظلم إنسان، أو إسقاط عدالته، أو انتهاك عرضه بغير حق، فإذا كان هذا شأن العلماء والقضاة، مع ما لديهم من علم وأهلية ومسؤولية، فكيف بمن يتصدر للحكم على الناس بغير علم، ويوزع أوصاف التبديع والتضليل والتفسيق، وربما التكفير، دون بينة أو تحقق من الشروط والموانع؟ إن أعراض المسلمين ليست ميدانًا للتجارب، ولا مجالًا لإظهار الحماسة أو الانتصار للأشخاص والجماعات؛ بل هي حقوق مصونة، يسأل الله عنها من اعتدى عليها.

الجرح والتعديل.. ضرورة تضبطها التقوى

لقد أجاز العلماء الكلام في أحوال الرواة عند الحاجة الشرعية؛ لأن حفظ السنة يقتضي معرفة الثقات والضعفاء، وتمييز المقبول من المردود، غير أن هذا الاستثناء لا يفتح باب الغيبة على مصراعيه، وإنما يظل مقيدًا بالحاجة، ومضبوطًا بالعلم والعدل؛ فالضرورة تقدر بقدرها، ولا يجوز تجاوز موضع الحاجة إلى التشفي أو الانتقاص.

ولهذا شدد العلماء على اشتراط التقوى والورع والتثبت فيمن يتصدى للجرح والتعديل، وقد حذر الإمام النووي -رحمه الله- من التساهل في جرح من لم يثبت جرحه؛ لما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة تمس سمعة الراوي، وقد تؤثر في قبول مروياته، وأكد العلامة عبدالحي اللكنوي -رحمه الله- ضرورة توافر العلم والتقوى والصدق والورع، والتجرد من التعصب والهوى، فيمن يتكلم في أحوال الرجال.

ونقل عن ابن دقيق العيد قوله: «والكلام في الرجال يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى»، وقد روي أن أحد الزهاد قال لابن أبي حاتم -رحمه الله- وهو يحدث في الجرح والتعديل: «يا أبا محمد، لعلك تتكلم في أناس قد وضعوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة!»، فتأثر وبكى، والمغزى من هذه المواقف أن العلماء، مع إدراكهم ضرورة الجرح والتعديل لحفظ الدين، كانوا يستشعرون خطورة الكلمة، ويخشون أن يتجاوزوا حدود العدل والإنصاف.

التحذير من الخطأ لا يبيح ظلم المخطئ

من الواجب الشرعي بيان البدع والتحذير من الانحرافات التي تخالف الكتاب والسنة، لكن ذلك لا يستلزم التوسع في تصنيف الأشخاص والحكم على أعيانهم، فالحكم على القول أو الفعل بأنه بدعة أو ضلالة شيء، وتنزيل هذا الحكم على شخص بعينه شيء آخر، يحتاج إلى علم بحاله، وتحقق من حقيقة قوله، ومراعاة لما يقتضيه الحكم من شروط وموانع، ومن الخطأ أن يتلقف طالب العلم حكمًا صدر عن أحد العلماء في شخص معين، ثم يعممه وينشره، ويتعامل معه كأنه حقيقة قطعية لا تحتمل المراجعة؛ فقد يكون الحكم مبنيًا على اجتهاد، أو معلومات مخصوصة، أو ملابسات لا يعرفها الناقل، والواجب على طالب العلم أن يعرف قدر نفسه، وأن ينشغل بطلب العلم وتزكية النفس، وأن يترك المسائل الدقيقة التي تتعلق بأحكام الأعيان لأهل العلم الراسخين، فالحماسة للدين لا تغني عن البصيرة، وحسن النية لا يسوغ الظلم، والغيرة على السُّنَّة لا تبيح انتهاك أعراض المسلمين.

الكلمة بين مسؤولية الدنيا وحساب الآخرة

إن خطورة الكلام في الناس لا تقف عند آثاره في الدنيا، بل تمتد إلى يوم القيامة، حيث تستوفى الحقوق، ويحاسب العبد على ما نطق به لسانه، وقد قال النبي -ﷺ-: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»، وفي صحيح مسلم حديث المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى المظلومون من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار، فما أعظم الخسارة حين يجمع الإنسان الحسنات بالعبادة، ثم يبددها بالظلم والاعتداء على أعراض الناس!

وفي صحيح مسلم أيضًا أن رجلًا قال عن آخر: «والله لا يغفر الله لفلان»، فقال الله -تعالى-: «من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»، وهو تحذير شديد من الاغترار بالنفس، والتعالي على الخلق، والتجرؤ على أحكام الله ومآلات عباده، وقد كان ابن دقيق العيد -رحمه الله- يستحضر هذه المسؤولية، فنقل عنه قوله: «ما تكلمت في أحد منذ أربعين سنة حتى أعددت جوابًا بين يدي الله تعالى»، وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن يزِن به المسلم كلماته: هل يملك العلم بما يقول؟ وهل أنصف من يتحدث عنه؟ وهل يستطيع أن يجيب عن كلامه بين يدي الله؟

صيانة اللسان من تمام الاستقامة

إن حفظ اللسان عن أعراض الناس ليس ضعفًا في نصرة الحق، ولا تهاونًا في مواجهة الباطل، وإنما هو علامة على التقوى، ودليل على رسوخ العلم وحسن الفقه، فالعالم الراسخ يعرف متى يتكلم، وفيما يتكلم، وبأي قدر يتكلم؛ أما المتعجل فقد يظن أن كثرة التصنيف والتجريح دليل على قوة المنهج، وهو لا يدري أنه يعرض نفسه لمظالم عظيمة.

فلنزن أقوالنا بميزان العلم والعدل، ولنحذر أن تتحول خلافاتنا إلى خصومات تستباح فيها الأعراض، ولنتذكر أن الكلمة قد ترفع صاحبها عند الله، وقد تكون سببًا في هلاكه، إن نصرة الحق لا تكون بالظلم، وحماية السنة لا تكون بانتهاك الأعراض، والغيرة على الدين لا تكتمل إلا بعلم يهدي، وعدل ينصف، وتقوى تحفظ اللسان.





شرح كتاب المُزارَعة من صحيح مسلم

باب: فيمن غرس غَرْسًا

الشيخ: د.محمد الحمود النجدي

عَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً»، أخرجه مسلم في المساقاة (٣/١١٨٩) باب: فضل الغرس والزرع، وأخرجه البخاري في الحرث والمزارعة (٢٣٢٠)، باب: فضل الزّرع والغرس إذا أُكل منه.

في هذا الحديث يُنَبِّهُ النَّبيُّ -ﷺ- على فَضْلِ الغَرْسِ والزَّرعِ، وأنَّه ما من مُسلم يَغرسُ أو يَزرَعُ شَيئاً، فيقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً» أيُّ غرسٍ كان، أو أيُّ شَجَرٍ وزرعٍ كان، وإنَّما خَصَّ المسلمَ بالذِّكرِ؛ لأنَّه يَنوي عندَ الغَرْسِ -غالباً- أنْ يَتقوَّى المُسْلمون بثَمَرِ ذلك الغَرْسِ على عِبادةِ اللهِ -تعالى-، ولأنَّ المُسلمَ هو الَّذي يَحصُلُ له ثَوابٌ، وأمَّا الكافرُ فلا يَحصُلُ له بما يَفعَلُه من الخيراتِ ثَوابٌ في الآخرة، وغايتُهُ أنْ يُخَفَّفَ العَذابُ عنه، وقدْ يُجازى به في الدُّنيا، ويُعطَى به أجره.

● **وقولُه:** «إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً»

● **وقولُه:** «إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً» أي: يَتعدَّى نَفْعُ هذا الزَّرعِ للغير، فيَأكُلُ منه الإنسانُ أو الطَّيرُ أو البَهيمَةُ، وكلُّ ذاتِ رُوحٍ من دَوابِّ البَرِّ، إلَّا كان له أَجْرٌ بذلك، وكانت له به صدقة، وقوله: «وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ» أي: يُؤجر على ما سُرِقَ منه.

● **وقولُه:** وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ» فما أكلتْ منه السِّباعُ والطُّيور، وسائر الحيوانات، كان له به صَدَقة، ولو لمْ يُعْطِها بيده.

● **قولُه:** «ولَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً» هو براء ثم زاي بعدها همزة، أي: يُنْقصُه، ويَأخذُ منه .

قال النووي: «في هذه الأحاديث: فضيلةُ الغَرْسِ، وفضيلةُ الزَّرْعِ، وأنَّ أجرَ فاعلي ذلك مستمرٌّ؛ ما دام الغِرَاس والزَّرع، وما تولّد منْه إلى يوم القيامة.

أطيب المَكاسب وأفْضَلها

وقد اختلفَ العُلماء: في أطيب المَكاسب وأفْضَلها؛ فقيل: التِّجارة، وقيل: الصَّنْعة باليد، وقيل: الزِّراعة، وهو الصَّحيح، وقد بسطتُ إيضاحه في آخر باب الأطعمة، منْ «شرح المهذب»، وفي هذه الأحاديث أيضاً: أنَّ الثَّوابَ والأجر في الآخرة؛ مُختصٌّ بالمُسْلمين، وأنَّ الإنسانَ يُثاب على ما سُرق منْ ماله، أو أتلفته دابةٌ أو طائرٌ ونحوهما». «شرح النووي»، وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «أمّا مصلحة الدنيا: فما يحصل فيه منْ إنتاج، ومصلحة الغرس والزرع؛ ليست كمصلحة الدّراهم والنقود؛ لأنّ الزرع والغرس ينفع الزارع نفسه والغارس، وينفع البلد كلّه، كلّ الناس ينتفعون منه، بشراء الثّمَر، وشراء الحبِّ، والأكل منه، ويكون في هذا نمو للمجتمع، وكثرة لخيراته، بخلاف الدراهم التي تودع في الصناديق، ولا ينتفع بها أحد.

أما المنافع الدينية: فإنه إنْ أكلَ منه طيرٌ؛ عُصْفور، أو حمامة، أو دَجَاجة، أو غيرها ولو حبة واحدة، فإنّه له صَدقة، سواءً شاءَ ذلك أو لمْ يشأ، حتّى لو فُرِضَ أنّ الإنسانَ حينَ زَرَع، أو حينَ غَرَس، لمْ يكنْ بباله هذا الأمر، فإنّه إذا أكلَ منه؛ صارَ له صدقة، وأعجبُ منْ ذلك: لو سَرَقَ منه سارق، كما لو جاء شخصٌ مثلًا إلى نخل، وسرقَ منه تَمْراً؛ فإنّ لصاحبه في ذلك أجراً، مع أنه لو عَلم بهذا السارق لرفعه إلى المَحْكمة، ومع ذلك فإنّ الله -تعالى- يكتبُ له بهذه السرقة صدقةً إلى يوم القيامة، كذلك أيضا: إذا أكل منْ هذا الزّرع دَوابُ الأرض وهَوامّها؛ كان لصاحبه صدقة.

• اختلفَ العُلماء في أطيبِ المَكاسب وأفْضلها فقيل التّجارة وقيلَ الصَّنْعة باليد وقيل الزّراعة وهو الصّحيح

• حثّ النبي ﷺ على الزَّرْع وعلى الغرس لما فيه من المصلحة الدينية والمصالح الدنيوية

حثّ النبي -ﷺ- على الزَّرْع والغرس

ففي هذا الحديث: دلالة واضحة على حثِّ النبي -عليه الصلاة والسلام- على الزَّرْع وعلى الغرس؛ لما فيه من المصلحة الدينية، والمصالح الدنيوية، وفيه دليل: على كثْرة طُرق الخير، وأنَّ ما انتفعَ به الناسُ مِنَ الخير؛ فإنَّ لصاحبه أجراً، وله فيه الخير، سواءً نوى أو لمْ ينو، وهذا كقوله -تعالى-: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٤، فذكر الله -سبحانه وتعالى-: أنّ هذه الأشياء فيها خيرٌ، سواء نُويت أو لمْ تنو، مِنْ أمْرٍ بصدقة أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس، فهو خيرٌ ومعروف، نوى أمْ لم ينو، فإنْ نوى بذلك ابتغاء وجه الله؛ فإنّ الله يقول: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (شرح رياض الصالحين - ٢/ ١٩٤ - ١٩٦).

فوائد الحديث

- بَيانُ فضْلِ الزِّراعة، والعمَلِ بالحَرْث.
- ما مِن عَبدٍ مُسلمٍ يَقومُ بعَملٍ نافعٍ، إلَّا كَتَبَ اللهُ به الأجْرَ والثَّوابَ.
- وفيه: الحضُّ على عِمارةِ الأرضِ بالزرعِ والشَّجَر، ليَعيشَ الإنسانُ بها بنفْسِه، أو مَن يَأتي بعْدَه، وأنّه ممَّا يُؤجَرُ عليه، وأنّ الزّرع والغرس فيه الخير الكثير، ففيه مصلحةٌ في الدين، ومصلحة في الدنيا.

احتساب الأجر في الأعمال

إن من رحمة اللَّه -تعالى- بعباده أن فتح لهم أبواب الأجر، ويسَّر لهم طرق الخير، وجعَل للنية الصالحة شأنًا عظيمًا، كما جاء عن المصطفى -ﷺ-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»؛ فبالنية الصالحة يُثاب المرء بالعمل الواحد أضعافًا من الحسنات، وتغدو العادة المباحة من أعظم القربات والطاعات.

وكم من عملٍ يسيرٍ عَظُمَ أجرُه بحسن النية! وكم من عملٍ عظيم حُرِم صاحبه الثواب لفساد النية! بل يُكتَب للعبد أجرُ عملٍ لم يعمله بصدق نيته واحتسابه؛ ففي صحيح البخاري قال -ﷺ-: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا».

إنَّ احتساب الأجر في الأعمال بها تتحقق الغاية العظيمة التي خُلقنا من أجلها؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذَّاريات: ٥٦)، فليست العبادة محصورةً في أعمالٍ ظاهرة، من صيام وصلاة، وحجٍّ وزكاة، بل حياة المسلم كلّها عبادة، إذا ابتغى بأقواله وأفعاله وجهَ ربه؛ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام).

ولقد فَقِهَ أصحابُ رسول الله -ﷺ- منزلة الاحتساب في العمل؛ ففي صحيح البخاري قال معاذٌ لأبي موسى الأشعري: «كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»، قال: «قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي»، فقال معاذ، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام: «أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»، أي: يحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه؛ لأنه ينوي بنومه التقوِّيَ على قيام ليله.

وهكذا كان أصحاب رسول الله -ﷺ-، كانوا يبذلون أحبَّ أموالهم ابتغاء مرضاة ربهم، فمن أعظم صور الاحتساب: الإيثار مع الحاجة، وبذل المعروف دون انتظار جزائه؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ»، أي: أنا في جهد ومشقة وتعب من شدة الجوع، «فَأَرْسَلَ -ﷺ- إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ كُلُّهُنَّ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ -ﷺ-: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».



من أرشيف الشيخ عبدالله السبت

إن هذا الدين يسر

● من حلم الله ورحمته بعباده أن جعل باب التوبة مفتوحًا كلما تجدد الذنب فهو العليم بضعفهم

مقالات كُتبت في زمن مضى، لكن لم يغب أثرها؛ فما زالت معانيها حية، وفوائدها متجددة، تحمل علمًا نافعًا، وتفتح للقارئ آفاقًا من التأمل والاعتبار، وفي هذه السلسلة نعيد نشر مختارات من مقالات الشيخ؛ عبدالله السبت - رحمه الله -؛ إحياءً لما حوته من علم وفكر، وتجديدًا لما حملته من توجيه وبصيرة؛ لتبقى رسالتها ممتدة عبر الأجيال، ويظل نفعها موصولًا.

لا يزال الإنسان يصارع الحياة للحصول على ما ينفعه منذ الصرخة الأولى حين الولادة إلى الصرخة الأخيرة حين ينوب عليه، فهو مستمر في الصراع والسعي نحو الأفضل والأحسن؛ لما يظن أنه ينفعه، ومذاهب بني الإنسان في تحديد ما ينفعهم وما يضرهم متفاوتة ومختلفة، ولكن يقسمهم الواقع إلى فريقين:

● فريق يقر بالصانع المدبر للخلق والرسل وما جاؤوا به، والبعث بعد الموت والحياة الآخرة، وهؤلاء هم المسلمون.

● وآخرون من غيرهم لا يرون بعثًا ولا نشورًا، وإنما يرون أن الدهر هو مهلكهم، فهؤلاء الكافرون بالآخرة مهما تعددت مذاهبهم وتنوعت نِحَلُهم؛ فالكفر ملة واحدة، وهذا الفريق من الناس لا شأن لنا به الآن؛ لأنه يحتاج إلى بسط القول لإقناعه بالحق الذي كفر به.

خطابنا لمن رضي بالله ربا

وإنما نخاطب نحن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد -ﷺ- نبياً ورسولاً، فهؤلاء الذين آمنوا بجنة عرضها السماوات والأرض نُذكِّر منهم من أنساه الشيطان ذكر ربه، وشغله عن الآخرة، ونعيمها فجرفه الهوى، وغرته الدنيا بزخرفها، ولا يزال يركض ويسعى جاهداً باحثاً فيما يظنه خيره وسعادته، وظن بعض من لم يذق الطاعة ولذتها أن الإسلام والالتزام به يحرمه لذة العيش ومتعة الحياة وما يدري أن المتعة واللذة الحقة فيه ومن جهل شيئا تركه وعاداه.

وقد يكون عذر هؤلاء أن الإسلام النقي الطيب لم يقدم لهم، ولم تتح لهم فرصة تذوق القرآن والركوع والسجود، فنقول: إن باب الرجوع مفتوح وأقدم لهم بشرى لعلها تصادف قلباً راغباً في تطهير نفسه من دون المعصية وفسادها.

ماذا تنتظر؟

فانظر إلى قول الله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران)، فهذا ربك الله وعدك بمغفرة وجنات.

ولكن هل أدلك على خير أكثر، انظر إلى قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)، فماذا تنتظر بعد هذا العرض العظيم: مغفرة، وحسنات بدلاً من السيئات، ولا تظن أن التوبة تغفر بعض الذنوب، بل إنها - إن صدق صاحبها - تغفر الذنوب جميعاً، قال -تعالى-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

ليس للتوبة حد

ثم اعلم أن ليس للتوبة حد، بل صح عن رسولنا أنه قال -ﷺ-: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، واطمئنْ بأن الله حليم ورحيم ومن حلمه وفضله - وهو الذي يعلم ضعف العبد - جعل التوبة تتجدد مع الذنب، فقال الله -ﷺ-: «إن عبداً أصاب ذنباً، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره، فقال له ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر، فقال: يا رب، إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي، قال ربه علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أنه له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه

• التوبة الصادقة تمحو الذنوب جميعًا مهما عظمت وكثرت قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

غفرت لعبد فليعمل ما شاء» رواه البخاري ومسلم. ومعنى «ما شاء» أنه إن استمر على الاستغفار والتوبة بعد الذنب فمغفور له.

كيد إبليس للإنسان

فهل هناك سعة ويسر أكبر من هذا؟ والشيطان يأتي العبد من ناحية الذنب، فإذا علم العبد أنه بفطرته لابد وأن يقع، وإنما الذي عليه التوبة والرجوع، أغلق أمام إبليس باب الفتن، وهذه القضية يخبر عنها الرسول -ﷺ-: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم» رواه مسلم.

أبواب الخير والرحمة

هذا يا أخي دينك، وهذا يُسْرُه فاقلع رداء المعصية، وشمر، واعلم أن الله -سبحانه- يحب العبد التائب، وهذه هي أبواب الخير والرحمة فيه؛ فتح لك أبواب السعادة الأبدية والاستقرار والأمن، كل ذلك مقابل الشكر له -سبحانه-، الذي خلق ورزق وأعطى، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وليس عليك فيما فرطت من شيء إن أحسنت التوبة، فكل الصلوات التي تركتها تمحوها التوبة ولا تلتفت إلى من يقول: عليك قضاء ما فات، فإنهم متنطعون، وديننا يسر لا عسر فيه، فاتق الله يا عبد الله، ودع عنك التراخي وطول الأمل، وتدبر قول رسولك -ﷺ-: «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها»، ولا تغتر بكثرة من ترى في الهالكين، واعلم أنك لن تترك لله شيئاً إلا عوضك خيراً منه.

الإيمان.. طريق الفلاح في الدارين

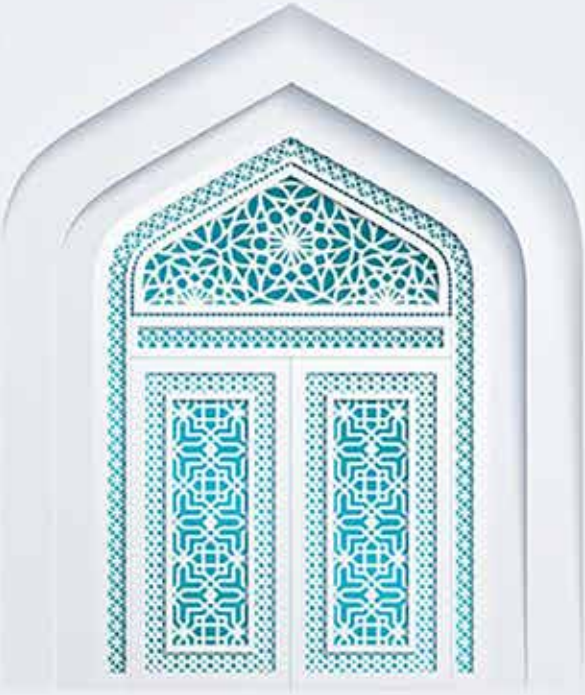
يسعى البشر جميعًا إلى الفلاح، وهو الظفر بكل مطلوب، والنجاة من كل مرهوب. وقد رسم الإسلام الطريق إليه، فقال -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)، أي: سعدوا وأدركوا مرادهم، ونجوا مما منه هربوا، بإيمانهم بالله، وإخلاصهم له، والتزامهم أمره ونهيه.

وهو إيمان لا يبقى كامنًا في القلب، بل تتجلى آثاره في السلوك والمعاملات والنظرات والتصورات؛ إذ يجعل المسلم حياته كلها لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢). وبه تطمئن النفس إلى القناعة، وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» (رواه مسلم). ثم يمتد أثره أمنًا في الدنيا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

وهو إيمان يقتضي الاعتصام بالوحي، وتحكيم شرعه في كل شأن، والانقياد له سمعًا وطاعة: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ



الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١). ويقتضي توحيدًا خالصًا على نهج الصحابة ومن تبعهم، لا يشوبه شرك ولا يكدّره مظهر من مظاهره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠)، وحين يصدق العبد في إيمانه يبلغ الفلاح تمامه، ويتولاه ربه بحفظه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨).



خواطر
الكلمة الطيبة

جهود دعاة التوحيد في ترسيخ الإخلاص والاتباع

• صلاح العمل لا يُقاس بمظهره وحده وإنما بما يقوم في القلب من صدق النية وإرادة وجه الله تعالى

د. خالد سلطان السلطان

من أعظم القضايا التي نجح دعاة التوحيد في ترسيخها في المجتمع الكويتي قضية قبول العمل عند الله -تعالى-؛ إذ ليست العبرة بكثرة الأعمال ومظاهرها، وإنما بصلاحها وموافقتها للشرع. وقد جعل الدعاة هذه القضية من أولويات دعوتهم، مؤكدين أن قبول العمل يقوم على شرطين عظيمين: الإخلاص لله -تعالى-، والمتابعة لرسوله -ﷺ-، مصداقًا لقوله -تعالى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

وقد كان لترسيخ هذين الأصلين أثر ظاهر في تصحيح المفاهيم، وإحياء السنن، وتعميق الصلة بالدليل الشرعي، حتى أصبح الاهتمام بصحة العبادة وموافقتها للسنة من المعالم البارزة في مسيرة الدعوة.

أولًا: الإخلاص أساس قبول العمل

الإخلاص لله -تعالى- من أكثر القضايا حضورًا في دروس المشايخ ومواعظهم ومجالس طلبة العلم؛ لما له من منزلة عظيمة في الدين، فهو روح العبادة وأساس قبولها، ولا ينفع العمل صاحبه إذا فقد الإخلاص، مهما عظم في أعين الناس ومن الأحاديث التي اعتنى الدعاة بنشرها وتكرارها قول النبي -ﷺ- فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، وكان لهذا الحديث أثر تربوي عميق؛ إذ وجّه الأنظار إلى حقيقة قد يغفل عنها بعض الناس، وهي أن صلاح العمل لا يُقاس بمظهره وحده، وإنما بما يقوم في القلب من صدق النية وإرادة وجه الله -تعالى-.

كما اعتنى الدعاة بالتحذير من الرياء والسمعة، واستشهدوا بقول النبي -ﷺ-: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»، وهكذا لم يكن الحديث عن الإخلاص مجرد توجيه وعظي عابر، بل كان منهجًا تربويًا متواصلًا، يستهدف إصلاح القلوب، وتحرير العبادة من طلب ثناء الناس ومدحهم.

التحذير من الشرك الخفي

ولم يقتصر هذا الجهد على بيان الإخلاص، بل امتد إلى التحذير من الشرك الخفي، والتنبيه إلى دقة مداخله وخطورة الغفلة عنه، ومن الأدعية التي حرص المشايخ وطلبة العلم على تعليمها للشباب في بدايات التزامهم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»، وهو دعاء ورد في حديث عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وحسّنه بعض أهل العلم.

وقد كان هذا الدعاء من أوائل ما تعلمناه وحفظناه في بداية الاستقامة، وكان المشايخ يكررونه ويحثون الشباب على المحافظة عليه؛ ليبقى القلب يقظًا، يراقب نيته، ويخشى أن يتسلل إلى عبادته شيء من الرياء أو إرادة غير الله، وهذه التربية الإيمانية أسهمت في تعميق معنى العبودية، وربط الأعمال

الظاهرة بصلاح القلوب، حتى يدرك المسلم أن أعظم ما يعتني به في عبادته أن تكون خالصة لله وحده.

ثانيًا: متابعة السنة شرط لصحة العبادة

أما الأصل الثاني الذي نجح دعاة التوحيد في نشره فهو أن الإخلاص وحده لا يكفي لقبول العبادة، بل لا بد أن تكون موافقة لهدي النبي -ﷺ-؛ فالعبادة تقوم على صدق القصد وصحة الاتباع، وقد اعتنى الدعاة ببيان هذا الأصل من خلال الأحاديث النبوية الجامعة، وفي مقدمتها قول النبي -ﷺ-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وعلى وجازة هذا الحديث، فقد كان له أثر كبير في تصحيح مفهوم العبادة؛ إذ رسخ أن حسن النية لا يجعل العمل المخالف للسُنَّة مشروعًا، وأن المرجع في التعبد هو الكتاب والسُنَّة، لا مجرد العادات والموروثات، ومن الأحاديث التي شاع تعليمها أيضًا قوله -ﷺ-: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ، وقوله -ﷺ-: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ».

وقد أسهم نشر هذه النصوص في تنمية الحرص على تعلم أحكام الطهارة والصلاة والحج وسائر العبادات، ومعرفة هدي النبي -ﷺ- فيها، والتمييز بين ما ثبت في السنة وما لم يثبت.

من التعليم إلى التطبيق العملي

ومن أبرز ما ميز تلك المرحلة أن الدعوة إلى اتباع السُنَّة لم تبق حبيسة الدروس والمحاضرات، بل تحولت إلى ممارسة عملية في حياة الشباب وعباداتهم، فقد حرص كثير من الشباب الملتزمين على تطبيق ما تعلموه من السنن، حتى إن بعض الممارسات التي كانت غائبة عن عامة الناس أصبحت ظاهرة في المساجد والمجالس.

ولم يكن هذا التحول سهلًا؛ إذ واجه الدعاة والشباب شيئًا من الاستغراب والإنكار، حتى من بعض المحافظين على الصلاة والمواظبين على المساجد؛ لا رفضًا للسنة

• من أعظم ثمار جهود دعاة التوحيد أنها أسهمت في بناء وعي شرعي يجعل المسلم يسأل عن الدليل ويحرص على صحة عبادته ويجمع بين إخلاص القصد وموافقة السُنة

• حسن النية لا يجعل العمل المخالف للسُنَّة مشروعًا فالمرجع في التعبد هو الكتاب والسُنة لا مجرد العادات والموروثات

بالضرورة، وإنما لعدم معرفتهم بثبوت بعض أحكامها أو مشروعيتها، وكانت هذه المواقف اختبارًا لصبر الدعاة وحكمتهم، وقدرتهم على الجمع بين الحرص على السنة والرفق بالناس في تعليمها.

قصة السترة في أحد مساجد الجهراء

ومن المواقف التي تكشف طبيعة التحديات التي واجهها الشباب في تلك المرحلة، ما وقع في أحد مساجد الجهراء، حين كان أحد الشباب يحرص على الصلاة إلى سترة، فيضع أمامه حامل المصحف المعروف بـ«الاستاند»، وقد استغرب أحد المصلين هذا التصرف، وظن أن وضع الحامل أمام المصلي يشبه وضع الأصنام، فقام بأخذه وكسره، وقال مستنكرًا: «هذا صنم بني إدريس! أما تتقون الله وأنتم تصلون أمام الأصنام؟»، وكان الموقف يعكس مدى غياب المعرفة بمشروعية السترة عند بعض الناس آنذاك، حتى إن تطبيق سنة ثابتة قد يُفهم على غير وجهه.

ومع ذلك، لم يقابل الشباب هذا الإنكار بمثله، وإنما تعاملوا معه بالصبر والرفق، وأخذوا يبينون مشروعية السترة وأدلتها، حتى زال الالتباس واتضحت حقيقة المسألة.

وقد أصبحت هذه الحادثة، بما عُرفت به من تسمية «صنم بني إدريس»، مثالًا على ما واجهه دعاة السنة من صعوبات في نشر بعض الأحكام الشرعية التي لم تكن مألوفة لدى الناس.

ثمار الصبر وحسن التعليم

ولم تكن هذه الحادثة حالة منفردة؛ فقد واجه الشباب مواقف مشابهة عند إحياء بعض السنن، لكنهم أدركوا أن تغيير المفاهيم يحتاج إلى علم وصبر وحكمة وحسن بيان، ومع مرور الوقت، أثمرت تلك الجهود زيادة الوعي بالسنة، واتساع دائرة الاهتمام بتعلمها وتطبيقها، حتى أصبحت كثير من الممارسات التي كانت مستغربة في الماضي مألوفة عند قطاعات من المصلين، ولا يزال أثر ذلك التعليم حاضرًا إلى اليوم.

وقبل أسبوعين، رأيت شابًا يصلي في مسجد من غير سترة، فوضعت أمامه ما يستتر به، فلما انتهى من صلاته سألني عن السبب، فبينت له أن النبي -ﷺ- كان يحرص على الصلاة إلى سترة، حتى في أسفاره، وأنها تمنع المرور بين يدي المصلي، وتعينه على صيانة صلاته من التشويش.

كما بينت له أن الصلاة إلى سترة سنة ثابتة، وأن أهل العلم اختلفوا في حكمها بين الوجوب والاستحباب المؤكد، وهذا الموقف البسيط يذكرنا بأهمية استمرار التعليم، وأن ما أصبح مألوفًا لدى جيل قد يحتاج الجيل الذي بعده إلى من يعلمه إياه.

انتصار المنهج في بناء الوعي

إن من أعظم ثمار تلك الجهود أنها لم تقتصر على تعليم الناس أعمالًا معينة، وإنما أسهمت في بناء وعي شرعي يجعل المسلم يسأل عن الدليل، ويحرص على صحة عبادته، ويجمع بين إخلاص القصد وموافقة السنة وهذا هو الانتصار الحقيقي للدعوة؛ أن تنتقل المبادئ من الكتب والدروس إلى القلوب والسلوك، وأن يصبح تعظيم السنة والحرص على الاتباع ثقافة راسخة، يتناقلها الناس جيلًا بعد جيل.

منارات في مسيرة طلب العلم (٦)

إحكام البداية في طلب العلم

الشيخ: فتحي الموصلي

ليس طلب العلم الشرعي مجرد رحلة لجمع المعلومات، أو استكثار من الكتب والمحفوظات، وإنما هو مسيرة إيمانية وتربوية، تُبنى فيها العقول على الفهم، وتُزكّى النفوس بالإخلاص، وتتهذب الأخلاق بالرحمة والتواضع، وكلما كانت البداية محكمة، كان البناء أرسخ، والطريق أوضح، والثمرة أرجى، وقد قيل: «إذا أُحكمت البدايات سلمت النهايات»، وهي حكمة تختصر جانبًا عظيمًا من منهج التعلّم؛ فكثير من العثرات التي تعترض طالب العلم في مراحل تقدمه إنما ترجع إلى خلل في التأسيس، أو اضطراب في المنهج، أو استعجال للثمار قبل استكمال أسبابها.

ومن هنا تبرز ثلاثة أسئلة ينبغي أن يستحضرها كل من أقبل على طلب العلم: من أين يبدأ؟ وكيف يبدأ؟ وعلى يد من يتعلم؟ فالإجابة عنها ليست تفصيلًا عابرًا، بل هي أساس البناء العلمي والتربوي كله.

أولًا: الإخلاص والهمة والفهم ركائز البداية

تقوم البداية الصحيحة في طلب العلم على ثلاثة أصول متكاملة: إخلاص النية، وعلو الهمة، وحسن الفهم:

- أما إخلاص النية، فهو روح العلم وأساس بركته؛ إذ ينبغي أن يقبل الطالب على العلم طالبًا النجاة والهداية، لا الشهرة والرئاسة، وأن يجعل غايته معرفة الله وعبادته على بصيرة، والعمل بما تعلم، ونفع الخلق بما آتاه الله من علم، فالعلم الذي يقترن بالإيمان والعمل الصالح سبيل إلى رفعة صاحبه في الدنيا والآخرة، قال الله -تعالى-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

- وأما علو الهمة، فهو الزاد الذي يعين الطالب على مشقة الطريق وطول المسير؛ فالعلم لا يمنح أسراره لمن يطلبه على عجل، ولا يفتح خزائنه لمن يستسلم لأول عقبة. وإنما ينال المرء منه بقدر صدق رغبته، وصبره، ودوام عنايته.

- وأما حسن الفهم، فهو الثمرة التي تتجاوز مجرد حفظ الألفاظ إلى إدراك المعاني، وضبط المسائل، ومعرفة العلاقات بين العلوم. فليس المقصود أن يمتلئ الذهن بالمعلومات، وإنما أن تتكون لدى الطالب ملكة علمية تمكّنه من الفهم الصحيح والنظر المنضبط.

وهذه الأصول الثلاثة ليست ضمانًا آليًا لبلوغ الغاية، ولكنها من أعظم أسباب التوفيق، وبقدر رسوخها في النفس تقوى قدرة الطالب على مواصلة الطريق.

ثانيًا: أخلاق طالب العلم

لا يستقيم البناء العلمي إذا انفصل عن البناء الأخلاقي؛ فطالب العلم لا يسلك طريقًا معرفيًا فحسب، بل يسير في طريق التعبد لله، وتزكية النفس، وإصلاح السلوك، ولهذا ينبغي أن يتخلق منذ بدايته بثلاث خصال عظيمة: الرحمة، والتواضع، وحسن الأدب مع الكبير والصغير.

- فالرحمة تجعل العلم وسيلة للإصلاح لا للاستعلاء، وللهداية لا للتعنيف، ولجمع القلوب لا لتنفيرها، وقد جرى من عادة أهل الحديث أن يفتتح بعض الشيوخ سماع طلابهم بالحديث المسلسل بالأولية: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وما أعمق هذه البداية! فهي تغرس في قلب الطالب أن العلم لا ينفصل عن الرحمة، وأن أول ما ينبغي أن يتعلمه ليس كيف يغلب غيره بالحجة، بل كيف يحمل العلم بقلب رحيم، ونفس متواضعة،



• من أعظم أصول البناء العلمي مراعاة التدرج فلا يدخل الطالب في دقائق العلوم قبل فهم مجملها ولا ينشغل بمشكلاتها قبل ضبط أصولها

ولسان مؤدب، وقد قال الله -تعالى- في شأن الخضر عليه السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

- والتواضع قرين العلم النافع؛ فكلما اتسعت معرفة الإنسان، ازداد إدراكًا لحدود علمه، وشعورًا بحاجته إلى ربه. وأعظم ما يثمره العلم خشية الله، كما قال -سبحانه-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، فليس العالم الحق من يكثر حديثه عن نفسه، وإنما من يظهر أثر علمه في عبادته، وأخلاقه، ومعاملته للناس.

- ثم حُسنُ الأدب مع الكبير والصغير: بأن يتحلّى طالبُ العلم بمكارم الأخلاق، ويُحسن معاملة الناس، ويجمع بين الخشية من الله والتواضع لعباده؛ فكلما ازداد علمًا، ازداد خشيةً وتواضعًا، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

ثالثًا: وضوح الغاية وصحة المنهج

قبل أن يشرع الطالب في تحصيل العلوم، ينبغي أن يحدد غايته:

- ماذا يريد من طلب العلم؟ أيريد معرفة ما تصح به عبادته؟ أم يسعى إلى التخصص والتأصيل؟ أم يريد التأهل للتعليم والدعوة والإفتاء؟ إن وضوح الغاية يعين على حسن اختيار الوسيلة، ويمنع تشتت الجهد فيما لا يخدم المقصود.

- ثم تأتي ضرورة التلقي عن أهل العلم، والانتظام في منهجية علمية صحيحة؛ لأن المعرفة الشرعية لا تُبنى على القراءة العشوائية، ولا على الانتقال بين الكتب دون ترتيب، وإنما تحتاج إلى أصول تضبطها، وشيوخ يوجهونها، ومراحل يتدرج فيها الطالب بحسب قدرته.

وهنا تبرز قاعدتان عظيمتان في التأسيس:

- الأولى: أن يؤخذ العلم عن أهله المتقنين له. فلا يكفي أن يكون الشيخ مشهورًا، بل ينبغي أن يكون مؤهلًا في الفن الذي يدرسه، قادرًا على تقريب مسائله، وبيان أصوله، وتربية الطالب على منهجه.

- الثانية: أن تكون الكتب المختارة معتمدة في فنونها، مناسبة لمرحلة الطالب. فالمبتدئ أحوج إلى ضبط الأصول من الانشغال

• كثير من العثرات التي تعترض طالب العلم في مراحل تقدمه إنما ترجع إلى خلل في التأسيس أو اضطراب في المنهج أو استعجال للثمار قبل استكمال أسبابها

• تقوم البداية الصحيحة في طلب العلم على ثلاثة أصول متكاملة: إخلاص النية وعلو الهمة وحسن الفهم

بالخلافات والتفريعات، وإلى اتباع منهج تعليمي مجرب من محاولة ابتكار طريق لم تتكون لديه بعد أدوات تقويمه، ومن الأخطاء التي تعترض بعض المبتدئين أن يضع أحدهم لنفسه منهجًا مستقلًا، فيختار من الكتب ما يستهويه، ومن الشيوخ من تعجبه طريقته، ثم ينتقل من فن إلى آخر دون أن يضبط أصول شيء منها؛ فتكثر معلوماته، ويضعف بناؤه، والعلم ليس بكثرة ما يمر بالذهن، وإنما بما يستقر فيه فهمًا وضبطًا، ويظهر أثره في العمل والسلوك.

رابعًا: بين طالب العلم والداعية والمثقف

من المهم أن يدرك المقبل على العلوم الشرعية أن مجالات النفع بالدين متعددة، وأن الناس يختلفون في استعداداتهم وقدراتهم وميولهم:

- فمنهم من يتجه إلى الدعوة، فيتعلم من العلم ما يؤهله لتبليغ ما يعلمه على بصيرة، ويجتهد في هداية الناس ونصحهم، ملتزمًا حدود معرفته، بعيدًا عن القول على الله بغير علم.

- ومنهم من يميل إلى الثقافة والفكر، فيقرأ في العلوم الشرعية والتاريخ واللغة والأدب، وتتسع معارفه، وتتكون لديه قدرة على الربط والتحليل، وإن لم يسلك مسار التحصيل العلمي التخصصي.

- ومنهم من يتفرغ لطلب العلم المؤصل، فيبني معرفته بناءً منهجيًا متدرجًا، ويتلقى عن الشيوخ، ويضبط المتون والمقررات، ويتدرج في الفنون حتى تتكون لديه الملكة العلمية.

وهذه المجالات ليست متعارضة بالضرورة، ولا ينبغي أن تتحول إلى سبب للتنازع أو الانتقاص؛ فلكل منها وظيفته، وقد يجمع الله لبعض عباده بين العلم والدعوة والثقافة، فيكون أثرهم أوسع ونفعهم أعظم.

غير أن بلوغ هذا الكمال ليس متاحًا للجميع على درجة واحدة؛ ولذلك ينبغي أن يعرف الإنسان قدراته، ويحسن توجيه طاقته إلى المجال الذي يستطيع الإحسان فيه، ومن لم يتيسر له الاستمرار في طريق التحصيل التخصصي، فليس معنى ذلك أن أبواب الخير قد أغلقت دونه؛ فما أوسع ميادين الدعوة والإصلاح والعمل الخيري وخدمة المجتمع! فالعبرة ليست بأن يتشابه الناس في أعمالهم، وإنما أن يحسن كل إنسان القيام بما هيأه الله له من أبواب الخير.

خامسًا: فقه التدرج.. الطريق إلى الرسوخ

من أعظم أصول البناء العلمي مراعاة التدرج؛ فلا يدخل الطالب في دقائق العلوم قبل فهم مجملها، ولا ينشغل بمشكلاتها قبل ضبط أصولها، ولا يطلب ثمرات المراحل المتقدمة وهو لم يستكمل أدوات المرحلة الأولى، فمن أراد دراسة علم الحديث، مثلًا، احتاج إلى معرفة أصول المصطلح قبل التوسع في دقائق الجرح والتعديل، ومن أراد التخصص في الفقه احتاج إلى ضبط مسائله ومصطلحاته قبل الخوض في الخلاف العالي والترجيحات.

والتدرج المطلوب يشمل ثلاثة أمور: اختيار الفن المناسب، ثم الكتاب المناسب داخل ذلك الفن، ثم الشيخ المناسب لتدريسه، وليس المقصود أن يبحث المبتدئ عن أشهر العلماء، أو أعلى الأسانيد، وإنما أن يبحث عمن يحسن تعليمه، ويعرف قدرته، ويأخذ بيده من مرحلة إلى أخرى، فقد يكون الشيخ الأقل شهرة أنفع للمبتدئ من عالم كبير يتناول في دروسه مسائل لا تتناسب مع مستوى الطالب، والشيخ النافع ليس بالضرورة من يكثر ما يلقيه من المعلومات، بل من يحسن بناء عقل تلميذه، ويعلمه كيف يفهم قبل أن يعلمه كيف يجيب.

ومن الاختبار.. الشدائد والمحن

د. أمير الحداد(*)
www.prof-alhadad.com

- نعم ما الحياة إلا اختبار، معروفة أسئلته وإجاباته، ولكن مدته هي المجهولة!

- هذا تبسيط شديد للحياة.

- هي كذلك ولا شيء آخر، من عرف هذه الحقيقة تعامل معها بنجاح، ومن غفل أو جهل، أو تغافل، ندم وتحسر؛ لذا فقد اختصر الله -عز وجل- الحياة الدنيا؛ في قوله -سبحانه-: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد:٢٠).

لاحظ أن الله -عز وجل- بعد الآية بقوله: ﴿اعلموا﴾، والأمر للجميع؛ لأنها معلومة حقة ثابتة. الحياة الدنيا ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، وختم الآية بقوله -سبحانه-: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾!

هكذا هي الحياة الدنيا، التي نعيشها، هكذا هي سنوات العمر، سواء كانت ثلاثين أو خمسين أو سبعين أو مئة!

فلا تغتر بها؛ لأن في الآخرة عذابا شديدا، ومغفرة من الله ورضوان، وقدم العذاب الشديد، تحذيرا للأكثرية الذين يغترون بها وينسون الآخرة، وفجأة يجدون أنفسهم يرحلون عنها، دون سابق إنذار؛ فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون)، إذا الخطورة في موعد انتهاء الامتحان، لا في الأسئلة والإجابات.

كنت وصاحبي في محاضرة للشيخ (عبدالله طاهر)، أستاذ العقيدة في كلية الشريعة، ضمن برنامج ثقافي لمدة أسبوع في مسجد (الزبن) بمنطقة (الفيحاء).

تابع محاضرنا موعظته البليغة.

- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، نفي واستثناء يفيد الحصر والتقييد، وورد هذا الوصف للدنيا أيضا في سورة آل عمران الآية (١٨٥)، وباختصار ما الحياة الدنيا إلا متاع (مال وجاه وشهوات)، تخدع ابن آدم الغافل، الجاهل، المعرض عن الآخرة، في تفسير الطبري «ما الحياة الدنيا إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان، و(الغرور) بالضم، مصدر من قول القائل: غرني فلان فهو يغرني غرورا، وأما بالفتح، فهو صفة للشيطان؛ لأنه (يغر) ابن آدم ويخدعه حتى يدخله فيما يستجوب العقوبة». انتهى.

أما الإمام القرطبي، فقال في تفسيره: إن الدنيا تغر الجميع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وهو -سبحانه وتعالى- في السورة الواحدة يذكر «القيامة الكبرى» و«الصغرى» كما في سورة الواقعة فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى وأن الناس يكونون أزواجا ثلاثة كما قال -تعالى-: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (الواقعة).

ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت؛ فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة)؛ فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجعها وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين آنذاك. وفي سورة القيامة: ذكر أيضا القيامتين فقال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ وهي نفس الإنسان، وقد قيل: إن النفس تكون لوامة وغير لوامة، وليس كذلك. بل نفس كل إنسان لوامة فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم، إما في الدنيا وإما في الآخرة؛ فهذا إثبات النفس. ثم ذكر معاد البدن فقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة).

ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، ثم ذكر الموت فقال: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك: بلغت الحلقوم، والتراقي متصلة بالحلقوم.

ثم قال ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يرقيها وقيل: من صاعد يصعد بها إلى الله ؟ والأول أظهر ؛ لأن هذا قبل الموت فإنه قال: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيا يرقيه وأيضا فصعودها لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها؛ فإن لله ملائكة يفعلون ما يؤمرون. والرقية أعظم الأدوية؛ لأنها دواء روحاني ؛ ولهذا قال النبي -ﷺ- في صفة المتوكلين: «لا يسترقون» والمراد أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي؛ ولهذا قال: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ثم قال: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها، والعرض القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت، فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن تساق إلى ربها كما نطقت بذلك الأحاديث المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر.

ثم ذكر بعد هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ وليس المراد أن كل نفس من هذه النفوس كذلك.

وكذلك سورة (ق) هي في ذكر وعيد القيامة ومع هذا قال فيها: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ فذكر القيامتين: الصغرى والكبرى».

وقوله وجاءت سكرة الموت بالحق أي جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت؛ فإن هذا مشهور لم ينازع فيه ولم يقل أحد إن الموت باطل؛ حتى يقال جاءت بالحق، وقوله ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ فالإنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته، وهذا كقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾، واليقين ما بعد الموت، كما قال النبي -ﷺ-، أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه، وإلا فالموت نفسه مجرد عما بعده أمر مشهور لم ينازع فيه أحد حتى يسمى يقينا. (الفتاوى-ج ٤-ص٢٦٥).

مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها: الإيمان بالقيامة العامة التي يقوم الناس فيها من قبورهم لرب العالمين، ويجزي العباد حينئذ ويحاسبهم، ويُدخل فريقًا الجنة وفريقًا النار، كما هو مبين في الكتاب والسنة، والإيمان مع ذلك بنعيم القبر وعذابه، وبما يكون في البرزخ من حين الموت إلى حين القيامة من نعيم وعذاب؛ فالإنسان منذ تفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب، فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة، وإن كان كماله حينئذ، ولا تبقى النفوس المفارقة لأبدانها خارجة عن النعيم والعذاب ألوفا من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى؛ ولهذا قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس إنكم تقولون: القيامة وإنه من مات فقد قامت قيامته.

كان (إسلام) منصتا طوال الوقت، لا أدري يسمع ما أقول أم أنه غارق في أحزانه؟!

- أحسنت يا (دكتور) على مواساتك، وإني لأرجو الله أن تكون قيامة ابني (حمزة) الصغرى خيرا، وقيامته الكبرى خيرا منها وأن يكون شفيعا لي.

- أحسن الظن بالله، وأكثر من الدعاء له، لئن كان كما قلت، فإني على يقين بأن الله أبدله دارا خيرا من هذه الدار، وسيكون بدار أفضل يوم القيامة بإذن الله، وتلقاه كما قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

(*) أستاذ في جامعة الكويت

دراسة نفسية اجتماعية في ضوء المقاصد الشرعية

الأطفال بعد الطلاق..
معاناة صامتة ومسؤولية لا تنتهي

إعداد: وائل سلامة

قد يكون الطلاق أحيانًا المخرج الأخير من حياة زوجية أنهكتها الخلافات، وطوق نجاة من علاقة بات استمرارها أشد ضررًا من انتهائها، غير أن آثاره قد تمتد إلى الأبناء، الذين يجدون أنفسهم أمام واقع لم يختاروه، وتغيرات قد تهدد استقرارهم النفسي والأسري، ومع ذلك، فإن الطلاق لا يعني بالضرورة ضياع الأبناء؛ فقد يكون الانفصال القائم على الإحسان وحفظ الحقوق أقل ضررًا من استمرار النزاع والتوتر؛ لذا فقد أولت الشريعة الإسلامية هذه القضية عناية بالغة، فأمرت بالإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان قال تعالى: (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: ٢٢٩)، وجعلت رعاية الأبناء وصيانة حقوقهم مسؤولية لا تنتهي بانفصال الوالدين؛ فالطلاق ينهي العلاقة الزوجية، لكنه لا ينهي مسؤولية الأبوة والأمومة.



- رعاية الأبناء وصيانة حقوقهم مسؤولية لا تنتهي بانفصال الوالدين فالطلاق ينهي العلاقة الزوجية لكنه لا ينهي مسؤولية الأبوة والأمومة



• شُرعت الحضانة لحفظ الصغير ورعايته وتربيته ومدارها عند الفقهاء على مصلحة المحضون

أولاً: الشريعة ومسؤولية الوالدين بعد الطلاق

أقام الإسلام العلاقات الأسرية على الرحمة والعدل والإحسان، وجعل رعاية الأبناء مسؤولية لا تنتهي بانتهاء العلاقة الزوجية، ويمكن تأصيل ذلك في المحاور الآتية:

1 الفرقة منضبطة بالمعروف والإحسان

قال الله -تعالى-: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، فالانفصال في التصور الإسلامي لا يعني إسقاط الأخلاق والحقوق، بل ينبغي أن يجري بالمعروف والإحسان، وهو ما ينعكس مباشرة على سلامة الأبناء، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، ومقصد الآية العام، هو حفظ الفضل والمروءة عند الفرقة، وحفظ المعروف بين الوالدين المنفصلين.

2 منع اتخاذ الأبناء أداة للإضرار

قال الله -تعالى-: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وسياق الآية في الرضاع والنفقة، لكن العلة المستفادة، وهي النهي عن الإضرار بين الوالدين من خلال الولد، تتسع لكل صور المضارة المتبادلة بعد الفرقة، كمنع الرؤية أو التحريض أو الابتزاز المالي أو حجب الطفل عن أحد والديه بلا مسوّغ، ويعضد ذلك القاعدة الكلية المروية: «لا ضرر ولا ضرار»، وهي من القواعد الفقهية الكبرى.

3 التشاور والتراضي في شأن الطفل

قال -تعالى-: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقال: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: ٦)، وهاتان الآيتان تؤسسان لما يسميه



علم الأسرة المعاصر «التربية المشتركة»: تنسيق القرارات التعليمية والصحية والتربوية بالتراضي والتشاور، وهو ما يخفف أثر الانفصال على الطفل.

4 الرعاية أمانة ومسؤولية مستمرة

قال النبي -ﷺ-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقال -تعالى-: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦)، وفيه أن الوقاية التربوية مسؤولية قائمة لا تسقط بالفرقة، وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت»، وفيه تحذير من تضييع النفقة والرعاية، وقال -تعالى-: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، فالنفقة حق للطفل لا ينبغي أن تصير ورقة ضغط في الخصومة.

5 العدل والرحمة بالصغار

قال النبي -ﷺ-: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، وقال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف لكبيرنا حقه»، ومن

• نتائج الطلاق تتفاوت بدرجة كبيرة بين الأسر إذ قد يمثل لبعض الأفراد انتهاءً لضغوط مستمرة بينما يسبب لآخرين صعوبات مؤقتة أو ممتدة تبعًا للظروف والعوامل المصاحبة

• من أبرز الآثار النفسية المحتملة للطلاق شعور الأبناء بالقلق وفقدان الأمان نتيجة اضطراب استقرارهم الأسري والخوف من فقدان أحد الوالدين أو تراجع اهتمامه بهم

• يمثل الطلاق تحولًا في البناء الأسري؛ إذ تنتقل الأسرة من نمط معيشي قائم على وجود الوالدين في إطار زوجي واحد



مقتضى ذلك أن لا يُحمّل الطفل ما لا يطيق من تفاصيل النزاع، ولا يُجبر على اختيار طرف، ولا يُعامل كشاهد أو رسول بين والديه.

5 الحضانة ومقصد مصلحة المحضون

شُرعت الحضانة لحفظ الصغير ورعايته وتربيته، ومدارها عند الفقهاء على مصلحة المحضون، وإن اختلفت المذاهب والأنظمة في ترتيب الحاضنين وشروطهم ومدة الحضانة، ومن الأصول في ذلك قوله -ﷺ- للمرأة: «أنت أحق به ما لم تنكحي»، وهو أصل يدل على تقديم رعاية الأم في الصغر وفق شروطها.

5 المقاصد الكلية للشريعة

تتقاطع هذه الأحكام مع مقاصد الشريعة الكبرى: حفظ النفس (الأمان الجسدي والنفسي)، وحفظ النسل (التنشئة السليمة والرعاية)، وحفظ العقل (التعليم والاستقرار الذهني)، وحفظ الدين (التربية الإيمانية والقدوة)، وحفظ المال (النفقة والاستحقاقات)، فالنظر إلى مصلحة الطفل بعد الطلاق ليس ترفًا تربويًا، بل هو مقصد شرعي تتحقق به حفظ الضروريات.

5 الحماية من الضرر ومنع الخطر

إذا ترتب على اتصال الطفل بأحد والديه خطر حقيقي كالعنف أو الإساءة، فلا يُعد استمرار الاتصال مصلحة مطلقة، لأن «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، وحماية الطفل من الأذى مقدمة على غيرها. وتُعالج هذه الأحوال بترتيبات خاصة كالإشراف أو تقييد الاتصال أو نقل الحضانة، وفق ما تقرره الجهات المختصة.

ثانيًا: الطلاق من منظور نفسي واجتماعي

يمثل الطلاق تحولًا في البناء الأسري؛ إذ تنتقل الأسرة من نمط معيشي قائم على وجود الوالدين في إطار زوجي واحد، إلى ترتيبات جديدة تتعلق بالإقامة والرعاية والنفقة والتواصل، وقد يفرض هذا التحول على الطفل إعادة التكيف مع تفاصيل يومية لم يألفها، في وقت يكون فيه أحوج ما يكون إلى الشعور بالأمان والاستقرار.

غير أن الدراسات العلمية تؤكد أهمية التمييز بين الطلاق بوصفه حدثًا أسريًا، والظروف المحيطة به، فقد أوضحت مراجعة بحثية نشرت عام ٢٠٠٠ أن نتائج الطلاق تختلف بدرجة كبيرة بين الأسر؛ إذ قد يمثل لبعض الأفراد انتهاءً لضغوط مستمرة، بينما يسبب لآخرين صعوبات مؤقتة أو ممتدة، تبعًا للظروف والعوامل المصاحبة، وتؤكد هذه

مسؤولية الأسرة والمجتمع والمؤسسات

لا تقع مسؤولية حماية أبناء المطلقين على الوالدين وحدهما؛ فالأسرة الممتدة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية والتربوية شريكة في توفير بيئة مساندة، فالجد والجدة والأقارب يمكن أن يمثلوا مصدرًا مهمًا للدعم العاطفي، شريطة عدم تأجيج الخلافات أو دفع الأبناء إلى الانحياز، وتستطيع المدرسة اكتشاف التغيرات السلوكية والدراسية المبكرة، وتقديم الإرشاد المناسب بالتعاون مع الأسرة، كما تبرز الحاجة إلى برامج توعوية تتناول آثار الطلاق على الأطفال، ومهارات التواصل الوالدي، وإدارة الخلاف، وتنظيم الرعاية بعد الانفصال.



• النظر إلى مصلحة الطفل بعد الطلاق ليس ترفًا تربويًا بل هو مقصد شرعي تتحقق به حفظ الضروريات

النتيجة أن السؤال الأهم ليس: هل يتأثر الأبناء بالطلاق؟ بل: متى يكون الطلاق مصدرًا لمعاناة نفسية واجتماعية، وما الذي يجعل بعض الأطفال أكثر قدرة على تجاوز آثاره من غيرهم؟

ثالثًا: الآثار النفسية والانفعالية على الأبناء

تختلف الاستجابات النفسية للأطفال بعد الطلاق باختلاف أعمارهم وشخصياتهم، وطبيعة علاقتهم بوالديهم، ومستوى النزاع الأسري، ومدى استقرار حياتهم بعد الانفصال.

(١) القلق وفقدان الشعور بالأمان: قد يشعر الطفل بأن عالمه الأسري الذي اعتاد عليه لم يعد مستقرًا، ويخشى فقدان أحد والديه أو تراجع اهتمامه به، وقد يظهر القلق في صورة تعلق مفرط بالطرف الحاضن، أو خوف من الانفصال، أو صعوبات في النوم والتركيز.

(٢) الحزن والشعور بالفقد: قد يصاحب الطلاق شعور بالحزن على الحياة الأسرية السابقة، ولا سيما حين يتراجع التواصل اليومي مع أحد الوالدين. وقد يستمر هذا الشعور لدى بعض الأبناء، حتى مع تكيفهم الظاهر مع الظروف الجديدة.

(٣) الشعور بالذنب وتحميل النفس المسؤولية: قد يفسر بعض الأطفال، خصوصًا في المراحل العمرية الصغيرة، الخلافات الزوجية تفسيرًا مرتبطًا بسلوكهم، فيظنون أنهم تسببوا في انفصال والديهم. ومن هنا تبرز أهمية طمأنتهم بأن الطلاق قرار يتعلق بعلاقة الكبار، وليس نتيجة أخطاء ارتكبوها.

(٤) الغضب والاضطرابات السلوكية: قد يعبر بعض الأبناء عن معاناتهم بالغضب أو العناد أو الانسحاب



الاجتماعي، بينما تظهر لدى آخرين تغيرات في الشهية أو النوم أو الأداء الدراسي. ولا تعني هذه المظاهر بالضرورة وجود اضطراب نفسي، لكنها تستدعي الانتباه إذا استمرت أو أثرت بوضوح في الحياة اليومية.

(٥) تراجع الثقة بالنفس وبالعلاقات: قد تؤثر التجارب الأسرية المؤلمة في تصور بعض الأبناء للاستقرار والثقة بالعلاقات الإنسانية، ولا سيما عندما يشهدون نزاعات مستمرة أو إساءات متبادلة بين الوالدين.

ويشير تقرير سريري للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، نُشر عام ٢٠١٦ وأُعيد تأكيده عام ٢٠٢٢، إلى أن كثيرًا من مشكلات التكيف التي تظهر بعد الانفصال تتراجع خلال سنتين إلى ثلاث سنوات، وإن كانت مشاعر الفقد قد تستمر مدة أطول لدى بعض الأطفال. وهذا يؤكد ضرورة التمييز بين المعاناة المؤقتة والاضطرابات النفسية الممتدة.

• تختلف الاستجابات النفسية للأطفال بعد الطلاق باختلاف أعمارهم وشخصياتهم وطبيعة علاقتهم بوالديهم ومستوى النزاع الأسري ومدى استقرار حياتهم بعد الانفصال

• من الآثار النفسية المحتملة للطلاق تراجع ثقة الأطفال بأنفسهم وبالعلاقات الإنسانية ولا سيما في ظل استمرار النزاعات والإساءات المتبادلة بين الوالدين

● الانفصال في التصور الإسلامي لا يعني إسقاط الأخلاق والحقوق بل ينبغي أن يجري بالمعروف والإحسان وهو ما ينعكس مباشرة على سلامة الأبناء



رابعًا: الآثار الاجتماعية والتربوية

لا تقتصر التداعيات المحتملة للطلاق على الجانب النفسي؛ بل قد تمتد إلى علاقات الأبناء الاجتماعية ومسيرتهم التعليمية وظروفهم المعيشية.

(١) اضطراب العلاقات الأسرية: قد يؤدي ضعف التواصل مع أحد الوالدين إلى الشعور بالبعد العاطفي، خصوصًا عندما يتحول الخلاف الزوجي إلى عائق أمام استمرار العلاقة الوالدية، وقد تتضاعف المشكلة إذا وجد الطفل نفسه مضطرًا إلى الانحياز لأحد الطرفين أو إخفاء مشاعره تجاه الآخر.

(٢) التراجع الدراسي: قد تؤثر الضغوط النفسية وتغير ظروف المعيشة في التركيز والتحصيل الدراسي، ولا سيما عند تزامن الطلاق مع الانتقال إلى مدرسة جديدة أو اضطراب الروتين اليومي.

(٣) الضغوط الاقتصادية: قد يؤدي الانتقال إلى منزلين منفصلين إلى زيادة الأعباء المالية، أو تراجع مستوى المعيشة، أو تقليص بعض الفرص التعليمية والترفيهية، وهو ما قد يضيف أعباءً جديدة على الأسرة والأبناء.

(٤) صعوبات التكيف الاجتماعي: قد يميل بعض الأطفال إلى العزلة، أو يجدون صعوبة في الحديث عن ظروف أسرهم، بينما يستطيع آخرون الحفاظ على علاقاتهم الاجتماعية بصورة طبيعية، ولا سيما مع توافر الدعم الأسري والمدرسي.

ولا ينبغي النظر إلى هذه الآثار بوصفها نتائج حتمية؛ فاستمرار الرعاية، والاستقرار الاقتصادي، وجودة العلاقات الأسرية، عوامل قد تحد بدرجة كبيرة من احتمالات ظهورها.

خامسًا: دراسات خليجية تكشف أبعاد المعاناة

(١) دراسة كويتية: الأمن النفسي والصلابة النفسية لدى أبناء المطلقين

- الباحثون: راشد مانع العجمي، ورياض نايل العاسمي، وحمد بليه العجمي.

- النشر: مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٢٠١٥.

تناولت الدراسة العلاقة بين الأمن النفسي والصلابة النفسية لدى عينة من ١٠٠ طالب وطالبة من أبناء المطلقين، تراوحت أعمارهم بين ١٥ و١٧ عامًا، في مدارس محافظة الأحمدي، وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين الأمن النفسي والصلابة النفسية، إلى جانب فروق مرتبطة بالجنس ومحل الإقامة مع أحد الوالدين، وتؤكد الدراسة أهمية الشعور بالأمان النفسي بوصفه عاملًا مرتبطًا بقدرة الأبناء على مواجهة الضغوط والتكيف مع ظروف الانفصال، دون أن تثبت أن أحد العاملين يسبب الآخر.

● بعد انفصال الوالدين قد يميل بعض الأطفال إلى العزلة والانطواء ويجدون حرجًا في الحديث عن ظروفهم الأسرية بينما يتمكن آخرون من الحفاظ على التكيف مع واقعهم الجديد

● تؤكد دراسة إماراتية تعدد أوجه معاناة الأطفال بعد الطلاق وضرورة تكامل الدعم النفسي والتربوي والاجتماعي وعدم الاقتصار على تنظيم الحضانة قانونيا



• إذا ترتب على اتصال الطفل بأحد والديه خطر حقيقي كالعنف أو الإساءة فلا يُعد استمرار الاتصال مصلحة مطلقة

(٢) دراسة كويتية: فاعلية الإرشاد النفسي لأبناء الأسر المطلقة

- الباحث: راشد مانع العجمي.

- النشر: أطروحة دكتوراة، جامعة دمشق، ٢٠١٤، مطبقة على عينة في الكويت.

اعتمدت الدراسة منهجًا شبه تجريبي، وشملت ٣٠ طالبًا من أبناء الأسر المطلقة في المرحلة المتوسطة بمحافظة الأحمدي، تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٤ عامًا، وُزعوا على مجموعتين تجريبية وضابطة، وأظهرت النتائج تحسنًا في التوافق النفسي والاجتماعي والمهارات الاجتماعية لدى المجموعة التي خضعت لبرنامج الإرشاد الجماعي، مع استمرار التحسن في القياس اللاحق بعد شهرين، وتقدم الدراسة دليلًا محليًا مشجعًا على جدوى البرامج الإرشادية المنظمة في مساعدة أبناء المطلقين، مع ضرورة مراعاة صغر حجم العينة واقتصارها على الذكور.

(٣) دراسة سعودية: الآثار النفسية والاجتماعية للأطفال المحضونين بعد الطلاق

- الباحثة: روان علي حميد الشمري.

- النشر: مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، ٢٠٢٣، المجلد الثاني، العدد ١٨، الصفحات ٥٠-٧٤.

تناولت الدراسة أطفال جمعية ألفة بمحافظة حفر الباطن، بهدف التعرف على التداعيات النفسية والاجتماعية التي تواجه الأطفال المحضونين بعد الطلاق، وتتميز الدراسة بارتباطها المباشر بموضوع الملف، وبتركيزها على فئة الأطفال الذين يعيشون ترتيبات الحضانة بعد الانفصال.

(٤) دراسة إماراتية: الطلاق ومشكلات الأطفال المحضونين

- الباحثتان: مريم إبراهيم محمد الزرعوني، وآلاء عبدالله معروف الطائي.

- النشر: مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٤٥، ٢٠٢٣.



أُجريت الدراسة بالتطبيق على دائرة الخدمات الاجتماعية بالشارقة، وشملت ٦٠ تلميذًا وتلميذة، باستخدام المنهج الوصفي وأدوات التحليل الكمي والنوعي، وكشفت النتائج عن وجود مشكلات نفسية وسلوكية ودراسية واجتماعية لدى الأطفال المشمولين بالدراسة، تراوحت شدتها بين المتوسطة والمرتفعة، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية مرتبطة بالجنس والعمر، وتوضح الدراسة تعدد جوانب معاناة الأطفال بعد الطلاق، وأن التعامل معها يحتاج إلى تكامل الدعم النفسي والتربوي والاجتماعي، لا الاكتفاء بمعالجة الجانب القانوني للحضانة.

(٥) دراسة عُمانية: الآثار التربوية للطلاق على الأبناء

- الباحثة: وفاء بنت سعيد المعمرية.

- النشر: مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، مارس ٢٠٢٥.

شملت الدراسة ٢٥٠ مطلقة من مختلف محافظات سلطنة عُمان، وبحثت تأثير العمر والتعليم والدخل في

• لا تقتصر مسؤولية الوالدين على توفير النفقة والمسكن بل تمتد إلى حماية الاستقرار النفسي والعاطفي للأبناء ومساعدتهم على فهم التغيرات المصاحبة للانفصال والتكيف معها

• تبرز أهمية البرامج الإرشادية للوالدين في تعزيز مهاراتهما التربوية والوقاية من المشكلات الأسرية والنفسية قبل وقوعها لا الاكتفاء بمعالجتها بعد ظهورها

• أقام الإسلام العلاقات الأسرية على الرحمة والعدل والإحسان وجعل رعاية الأبناء مسؤولية لا تنتهي بانتهاء العلاقة الزوجية



أسباب الطلاق وتداعياته، وأظهرت النتائج أن الآثار التربوية المتعلقة بالأبناء جاءت في مقدمة آثار الطلاق التي رصدتها الدراسة من وجهة نظر المطلقات، تلتها الآثار النفسية والاجتماعية الواقعة على المرأة المطلقة، وتشير النتائج إلى أهمية إدراج احتياجات الأبناء التربوية ضمن برامج الدعم الأسري بعد الطلاق. ويجب مراعاة أن الدراسة اعتمدت على إفادات الأمهات، لا القياس النفسي المباشر للأطفال.

سادسًا: كيف نحمي الأبناء من تداعيات الطلاق؟

لا تقتصر مسؤولية الوالدين على توفير النفقة والمسكن، بل تشمل المحافظة على الاستقرار النفسي والعاطفي للأبناء، ومساعدتهم على فهم التغيرات الجديدة والتكيف معها، وتوصي الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بتقليل تعرض الأبناء للنزاعات، وتقديم تفسيرات مناسبة لأعمارهم، والمحافظة على انتظام حياتهم، وتعزيز العلاقة الآمنة مع الوالدين، ويمكن ترجمة هذه التوجيهات إلى إجراءات عملية:

(١) تهيئة الأبناء نفسيًا: إخبارهم بالانفصال بلغة هادئة تناسب أعمارهم، مع التأكيد أن القرار ليس بسببهم، وأن محبة الوالدين لهم ومسؤوليتهما تجاههم مستمرتان.

(٢) تحييد الأبناء عن الخلافات: الامتناع عن الإساءة للطرف الآخر أمامهم، أو استخدامهم لنقل الرسائل أو جمع المعلومات أو ممارسة الضغوط.

(٣) استمرار الرعاية الوالدية: المحافظة على علاقة مستقرة وآمنة مع كلا الوالدين، متى كانت هذه العلاقة محققة لمصلحة الطفل ولا تعرضه للأذى.

(٤) حماية الاستقرار اليومي: تجنب التغيرات المتزامنة غير الضرورية في السكن والمدرسة والأنشطة، والمحافظة قدر الإمكان على الروتين المعتاد.

(٥) الإنصات لمشاعر الأبناء: إتاحة الفرصة لهم للتعبير عن الحزن أو الغضب أو الخوف دون لوم أو تقليل من مشاعرهم.

(٦) التعاون في التربية: الاتفاق على القواعد الأساسية للتعامل مع الأبناء، وتنظيم شؤونهم التعليمية والصحية والمعيشية بعيدًا عن الخلافات الشخصية.

(٧) الاستعانة بالمختصين: طلب التقييم النفسي عند استمرار أعراض القلق أو الانسحاب أو اضطراب النوم والسلوك، أو ظهور تدهور ملحوظ في الأداء الدراسي والاجتماعي، وتستدعي أي مؤشرات لإيذاء النفس تدخلًا مهنيًا عاجلًا، وتبرز أهمية البرامج الإرشادية الموجهة للوالدين؛ لأنها لا تكتفي بعلاج المشكلات بعد ظهورها، بل تعمل على تعزيز المهارات التربوية التي تقلل احتمالات حدوثها.

حين يكون الأبناء فوق الخلاف

ليس الطلاق بالضرورة نهاية الاستقرار النفسي للأبناء، كما أن استمرار الزواج لا يضمن وحده سلامتهم من المعاناة؛ فالعبرة بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها، ومستوى الأمان والرعاية اللذين يحظون بهما. إن المسؤولية الحقيقية للوالدين لا تقاس بقدرتهما على استمرار الحياة الزوجية فحسب، بل بقدرتهما على صيانة حقوق الأبناء وحمايتهم من تبعات الخلاف، حتى إذا تعذر استمرار الزواج، بقي الإحسان أساسًا للعلاقة، وبقي الأبناء فوق الخصومة، وبقيت مسؤولية التربية أمانة لا تنتهي بالطلاق.



• يجب التوقف عن تشويه صورة الطرف الآخر فذم الأب أو الأم أمام الطفل هو طعن في هويته وانتمائه

آراء المختصين .. تحليلات وتوصيات

وفي إطار تسليط الضوء على الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية للطلاق على الأبناء، استطلعت «الفرقان» آراء عدد من المختصين والمهتمين بالشأن الأسري؛ للوقوف على أبرز التحديات التي يواجهها الأبناء بعد انفصال الوالدين، والعوامل التي تزيد من حدة هذه الآثار أو تخفف منها، فضلًا عن السبل التربوية والنفسية الكفيلة بإدارة هذه المرحلة بحكمة ووعي، بما يحفظ حقوق الأبناء، ويعزز استقرارهم النفسي والأسري، ويحول دون أن يصبحوا ضحايا للخلافات بين الوالدين، وفيما يلي أبرز ما طرحه المشاركون من رؤى وتوجيهات.

دور الوالدية الواعية في بناء شخصية الأبناء للتعامل مع الأزمات

وعن دور الوالدية الواعية في بناء شخصية الأبناء للتعامل مع الأزمات قالت: د. صبيحة سلمان الخير الله:

تكمن أهمية الموضوع الذي نحن بصدده في أن أمن الاسرة وأمانها جملة من العوامل التي يؤدي تراكمها وإهمال التعامل معها عند بداية ظهورها لدى الوالدين أو أحد أفراد الأسرة إلى بروز ممارسات سلبية، تعلن عن نفسها ناقوس خطر ينبئ عن رياح تغيير قادمة، على هيئة سلوك شاذ لأحد أفراد الأسرة، يؤثر على الاستقرار النفسي والاجتماعي الأسري ويظهر أثره على طمأنينة الأسرة، أو يحدث شقوقا يصعب رتقها في حياة الأفراد ما يؤثر على أهدافهم وتطلعاتهم المستقبلية.

كيفية التعامل الواعي

وأضافت د. صبيحة: إننا في هذه الوقفة نسلط الضوء على أبرز الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية الناتجة عن انفصال الوالدين بالطلاق، بوصفه مشكلة تؤرق المهتمين وتؤثر في الأمن الأسري، مؤكدين أن الهدف ليس الوقوف عند المشكلة وما خلفته من أضرار في نفوس الأبناء ومشاعرهم، وإنما الانتقال إلى التعامل الواعي مع آثارها، وتوجيه الاهتمام التربوي من صدمة الانفصال إلى مرحلة «ماذا بعد؟»، واستشراف أهداف المرحلة القادمة مع الأبناء، كلٌّ بحسب وعيه وقدرته، بما يعزز مهارات الصلابة النفسية والتعامل الفعال مع الواقع الجديد، انطلاقًا من مفهوم: «ما مضى، مضى.. والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها»، مؤكدة أهمية استشعار الآباء والأبناء مسؤولياتهم المشتركة، والتكاتف لاستعادة التوازن والأمن الأسري، ومواجهة التحديات الناشئة عن الطلاق، الذي قد يراه بعضهم مصيبة، غافلين عما قد تخفيه أقدار الله من جميل عطاياه ولطائف تدبيره، مصداقًا لقوله -تعالى-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية

وعن الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية التي قد يتعرض لها الأطفال بسبب انفصال الوالدان قالت د. صبيحة:

1 المعاناة من صراع الولاء

عندما يجد الأبناء أنفسهم مطالبين بالاختيار أو الانحياز إلى أحد الطرفين دون الآخر، وهو ما يسمى بصراع الاستحواذ؛ فيتعاظم لديهم خليط من شعور الغضب وسرعة الانفعال! فإما يميلون إلى سلوكيات غريبة كقضم الأظافر أو الانخراط في جولات بكاء، أو الهروب للنوم، أو لعادات سيئة تعمل في الخفاء؛ فالمطلوب المتابعة الحثيثة لتلك التغيرات من قبل الوالدين أو الإخوة الكبار والابلاغ فور مشاهدتها، للمساهمة في التعامل مع ذلك السلوك قبل تفاقمه.

2 تزايد القلق والاكتئاب

قد يصاحب الحالة السابقة حالات من القلق والاكتئاب، تتزايد معها مشاعر الخوف من المستقبل، أو التعرض لاضطرابات في الأكل أو في النوم، أو فقدان الشعور بالأمان بسبب زعزعة

• العازمي: من الفضيلة ترفع الأبوين عن صغائر الأمور وتطبيق التسريح بإحسان والعمل بكل جهد على خطة متفق عليها قبل الانفصال وأثناءه وبعده





في استقرار الأبناء؛ فيوم عند الأب وآخر عند الأم وحينًا عند الأجداد أو الأقارب لتتسع هوة الشتات، التي يُخشى معها على الأبناء، اللجوء إلى أقران قد لا يكونون على مستوى المسؤولية؛ فيتخذونهم قدوات ينتمون إليهم ويقدمونهم على أبائهم وأمهاتهم؛ فإن لم يعصمهم الله -تعالى- مع عدم إدراكهم أنهم مسؤولون عن اختياراتهم واستشعار معية الله، فقد يحصل معهم مالا تحمد عقباه.

3 العنف والاندفاعية

ومن الآثار الاجتماعية والسلوكية التي قد تظهر على الأبناء: الاندفاعية، ولا سيما إذا وجد من الأقران في المدرسة من علم بانفصال والديهم ممن يتعمدون -كعادة الأطفال المشاكسين- نشر انفصال أبويهم في المدرسة فيدخلون في ممارسات هدفها حماية أنفسهم بأيديهم؛ فيقعون في أعمال عنف؛ ما يحتم على الواعي من الوالدين ضرورة إحاطة الإدارة المدرسية والاختصاصي النفسي والاجتماعي لمتابعة الحال؛ لتفادي تفاقمها، والمساهمة في إشراك الأبناء في نشاطات مدرسية، تستكشف بها مواهبهم، وتعزز قدراتهم الخاصة لخدمة الصالح العام، وترفع من إحساسهم بالقدرة بعد الله على الترفع عما يُزري بهم، ومن ثم تحقق عدم الانعزال، وينخرطون في الأنشطة المدرسية التفاعلية مع الأقران والجمهور.

4 الانعزال

ويعد الانعزال حالا بارزة بوصفها ردة فعل صدمة انفصال الأبوين، وتكمن خطورة تلك الحال إذا كان أحد الوالدين أو كلاهما يحرص على ذكر مساوئ الطرف الآخر؛ ما يزعزع قيمة احترام عدم غيبة الآخر؛ فكيف إذا كان هذا الآخر هو الأم أو الأب.؟ ولعلاج تلك الرغبة في الحديث عن الآخر سواء كانت الأم أو الأب؛ فإن على الواعي منهم استثمار

مسؤولية الأسرة والمجتمع والمؤسسات

لا تقع مسؤولية حماية أبناء المطلقين على الوالدين وحدهما؛ فالأسرة الممتدة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية والتربوية شريكة في توفير بيئة مساندة، فالجد والجدة والأقارب يمكن أن يمثلوا مصدرًا مهمًا للدعم العاطفي، شريطة عدم تأجيج الخلافات أو دفع الأبناء إلى الانحياز، وتستطيع المدرسة اكتشاف التغيرات السلوكية والدراسية المبكرة، وتقديم الإرشاد المناسب بالتعاون مع الأسرة، كما تبرز الحاجة إلى برامج توعوية تتناول آثار الطلاق على الأطفال، ومهارات التواصل الوالدي، وإدارة الخلاف، وتنظيم الرعاية بعد الانفصال.



• مبدأ التسريح بإحسان يقتضي ألا يتحول انتهاء العلاقة الزوجية إلى بداية لمعاناة جديدة يتحمل الأطفال تبعاتها

الاجتماع مع الأبناء لتبادل الآراء، والتحدث حول خططهم واهتماماتهم الخاصة وطموحاتهم العلمية، والمساهمة في تحقيق النافع منها، والحرص على مساعدتهم في تحديد أهدافهم المستقبلية والسعي في تحقيقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

5 اضطرابات سلوكية

وقد تظهر ردود أفعال على الأبناء في هيئة اضطرابات سلوكية أو تمرد، كالسلوكيات العدوانية تجاه الآخر أو النفس للفت الانتباه، أو ممارسات جنوح نحو التمرد، وفي ظروف متقدمة قد يتجه المراهقون إلى سلوكيات خطأ كالتدخين أو العنف أو حتى الإضرار بالنفس.

حكمة الله ورحمته

واختتمت د. صبيحة الخير الله تصريحها قائلة: إن الله -تعالى- بيّن الغاية العظيمة من الزواج بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)؛ فقد جعل الله الزوجين من جنس واحد لتتحقق بينهما الألفة والسكينة، وجعل المودة والرحمة أساسًا للعلاقة الزوجية، بما يحقق مقاصد الزواج من العفاف والذرية الصالحة وبناء الأسرة والمجتمع، وأكدت أن تحقيق هذه المقاصد يتطلب من الزوجين صدق اللجوء إلى الله، وحسن القيام بالحقوق والمسؤوليات المشتركة، والتعامل مع الخلافات بحكمة ووعي؛ حفاظًا على المودة والرحمة، وتعزيزًا للأمن النفسي والاستقرار الأسري.

إدارة الطلاق بوعي وتفهم وإدراك

وعن إدارة مرحلة الطلاق بوعي وتفهم وإدراك؛ حتى لا يتأثر به الأبناء تأثرا سلبيا، قالت جوزا ثامر العازمي: إنَّ الطلاق في ذاته ليس كل المشكلة بين زوجين قد تعذرت الحياة الزوجية بالاستمرار بينهما، وقد يكون الانفصال حلًّا لكثير من القضايا الزوجية والأسرية، إلا أنه في واقع حال أغلب الناس يكون الطلاق صورة مرعبة للأسرة، ولا سيما أثره على الأطفال الذين هم ضحية هذا الفراق، ما أوجب على الأب والأم ألا ينسلخا من رحمة الأبوة والأمومة ويتجاهلا الأطفال بينهما مهما



كانت الأسباب والظروف؛ فالأطفال ليسوا أسلحة حرب للتشفي وضرب أحدهما بالآخر، ولا هم أوراق ضغط لإجبار الطرف الآخر على التنازلات والفوز بالأموال والحضانات والتسويغات أمام الناس.

جعل الطلاق بردًا وسلامًا

وعن كيفية جعل الطلاق بردًا وسلامًا على الأطفال لتخفيف وطأة الفراق على أنفسهم الضعيفة، قالت العازمي: لابد من إدارة الطلاق بوعي وتفهم وإدراك أن العلاقة الزوجية مختلفة تمامًا عن العلاقة الأبوية؛ فيجب على الأبوين التوقف فورًا عن الخلافات العائلية أمام الأطفال وتفهم الأزمة بكل عقلانية وهدوء، فالمفاجأة والتغيرات غير المدروسة في حياة الطفل تربكه وتؤثر عليه سلبًا، كما يجب التوقف عن تشويه صورة الطرف الآخر، فذم الأب أو الأم أمام الطفل هو طعن في هويته وانتمائه. إن الشراكة الأبوية باقية للحفاظ على ثبات

• د. الخير الله: تحقيق مقاصد الزواج يتطلب من الزوجين صدق اللجوء إلى الله وحسن القيام بالحقوق والمسؤوليات المشتركة والتعامل مع الخلافات بحكمة ووعي حفاظًا على المودة والرحمة وتعزيزًا للأمن النفسي والاستقرار الأسري

● الفهد: الآثار السلبية للطلاق ليست حتمية وإنما تتفاوت بحسب ظروف الانفصال ومدى قدرة الوالدين على توفير الرعاية النفسية والتربوية وحماية الأبناء من تداعيات الخلافات الأسرية



روتين الطفل اليومي، فلا يشعر بأن التغيرات الطارئة أثرت على حياته النفسية والاجتماعية والتربوية، وعلى مدى محبته لأبويه دون إدخاله في التفاصيل المادية والقانونية.

صياغة اتفاق تربوي موحد

وأضافت العازمي، لماذا لا يكون هناك صياغة اتفاق تربوي موحد بين الأب والأم؟ ويكون الاتفاق واضحًا على أوقات الزيارة والمبيت والمسؤولية المالية مع توحيد القيم والحدود التربوية في كلا البيتين لضمان سلامة الاتزان التربوي للطفل، والتوقف عن تجنيد الأطفال بوصفهم رسلا للرسائل السلبية أو جواسيس ينقلون الأخبار بين المنزلين للطرف الآخر؛ فهذا السلوك يدمر ثقته بنفسه وبوالديه ويكسبه سلوكيات دنيئة؛ فيجب حفظ الاحترام المتبادل بين الأم والأب كي لا تهتز صورتهما أمام أبنائهما.

ترفع الأبوين عن صغائر الأمور

وختمت العازمي تصريحها قائلة: إن من الفضيلة ترفع الأبوين عن صغائر الأمور وتطبيق التسريح بإحسان، والعمل بكل جهد على خطة متفق عليها قبل الانفصال وأثناءه وبعده ، فيكون الطلاق حاصلًا بطريقة طيبة، ليحققا بذلك قواعد الطلاق المسالم والراقي في الإسلام، فيأيها الآباء والأمهات اتقوا الله في أبنائكم، وإن كان ولابد، فليكن الطلاق طلاقا بإحسان، يحفظ الأبناء سالمين في حياتهم النفسية والاجتماعية والتربوية.

بدرية الفهد: الطلاق قد يهدد شعور الأبناء بالأمان ويؤثر في استقرارهم النفسي والاجتماعي

وعن الآثار النفسية والاجتماعية للطلاق على الأبناء، قالت بدرية الفهد: إن الطلاق قد يترك آثارًا نفسية عميقة لدى بعض الأطفال، تبدأ بالصدمة والشعور بعدم الأمان، وما يصاحبهما من ارتباك وحيرة، وقد يصل الأمر إلى شعور الطفل بالذنب واعتقاده أنه سبب انفصال والديه، فضلًا عن مشاعر القلق والخوف من المستقبل أو فقدان الرعاية والاهتمام.

وأضافت أن هذه الآثار قد تظهر في صورة اضطرابات النوم وتُضعف الشهية، والتركيز والانتباه، إلى جانب اهتزاز الثقة بالنفس وفقدان الاستقرار العاطفي، وزيادة الحساسية في التعامل مع المحيطين، مشيرة إلى أن حدة هذه التأثيرات تختلف باختلاف عمر الطفل وطبيعة العلاقة بين الوالدين والظروف المصاحبة للانفصال.

● الطلاق في ذاته ليس كل المشكلة لكن المشكلة الحقيقية تأثيره السيئ على الأطفال الذين هم ضحية هذا الفراق ما يوجب على الوالدين عدم تجاهل الأطفال بينهما مهما كانت الأسباب والظروف

● المنيس: نجاح الوالدين في إدارة مرحلة ما بعد الطلاق لا يقاس بمجرد انتهاء الخلاف بينهما وإنما بقدرتهما على حماية أبنائهما من آثاره وتوفير بيئة آمنة تسودها الرعاية والطمأنينة



• التهيئة النفسية المسبقة للأطفال لقرار الانفصال بأسلوب تربوي يتناسب مع أعمارهم تسهم في تخفيف مشاعر القلق والخوف لديهم

آثار اجتماعية وسلوكية

وفيما يتعلق بالآثار الاجتماعية، أوضحت الفهد أن الطلاق قد يؤثر في الروابط الأسرية، ولا سيما علاقة الأبناء بالوالد الذي لا يقيمون معه، أو بالأقارب والأجداد، نتيجة قلة التواصل أو استمرار النزاعات الأسرية، وأشارت إلى أن بعض الأبناء قد تظهر عليهم تغيرات سلوكية، كالعدوانية والتمرد، أو تراجع التحصيل الدراسي وضعف العلاقات مع الأقران، في حين يميل آخرون إلى العزلة والانطواء والخجل، وقد يشعرون بالاختلاف عن أقرانهم أو يتعرضون لضغوط اجتماعية تؤثر في اندماجهم وثقتهم بأنفسهم.

التغير المفاجئ

وأكدت الفهد أن التغير المفاجئ في نمط الحياة اليومية، وفقدان العادات الأسرية والروتين الذي اعتاده الطفل، قد يزيدان شعوره بعدم الاستقرار، مشددة على أن هذه الآثار ليست حتمية، وإنما تتفاوت بحسب ظروف الانفصال ومدى قدرة الوالدين على توفير الرعاية النفسية والتربوية، وحماية الأبناء من تداعيات الخلافات الأسرية.

هنادي المنيس: استمرار الخلافات بين الوالدين يضاعف معاناة الأبناء بعد الطلاق

وعن العوامل التي تزيد من حدة الآثار النفسية والاجتماعية للطلاق على الأبناء، قالت مديرة الإدارة العلمية بقطاع العمل النسائي بجمعية إحياء التراث الإسلامي، هنادي المنيس: إن استمرار الصراع بين الوالدين، واستخدام الأطفال وسيلة للضغط في الخلافات بينهما، من أبرز العوامل التي تضاعف معاناتهم النفسية، ولا سيما إذا صاحب ذلك تغير مفاجئ في نمط حياتهم، كالانتقال إلى بيئة جديدة، أو إهمال احتياجاتهم النفسية والتربوية واليومية.

وأضافت المنيس أن هذه الآثار يمكن التخفيف من حدتها من خلال تعاون الوالدين في تحمل المسؤوليات واتخاذ القرارات المتعلقة بالأبناء، والمحافظة على التواصل الإيجابي بينهما بما يحقق مصلحة الأطفال، مع الاستعانة بالمختصين في الإرشاد النفسي والتربوي عند الحاجة؛ لمساعدة الأبناء على التعبير عن مشاعرهم والتكيف مع واقعهم الأسري الجديد.



التسريح بإحسان

وحول كيفية تعامل الوالدين مع مرحلة الانفصال بما يحفظ الاستقرار النفسي والتربوي للأبناء، أكدت المنيس أن مبدأ التسريح بإحسان يقتضي ألا يتحول انتهاء العلاقة الزوجية إلى بداية لمعاناة جديدة يتحمل الأطفال تبعاتها، مشددة على ضرورة التزام الوالدين بحقوق أبنائهم، والوفاء بمسؤولياتهم التربوية والنفسية والمادية، بعيدًا عن الخلافات الشخصية.

التهيئة النفسية المسبقة

وأوضحت أن التهيئة النفسية المسبقة للأطفال لقرار الانفصال، بأسلوب تربوي يتناسب مع أعمارهم، تسهم في تخفيف مشاعر القلق والخوف لديهم، مع التأكيد المستمر أن انفصال الوالدين لا يعني تراجع محبتهما لأبنائهما أو تخليهما عن مسؤولية رعايتهم وحمايتهم، وشددت على أهمية الاحترام المتبادل بين الوالدين أمام الأبناء، وتجنب الإساءة إلى الطرف الآخر أو التقليل من مكانته، إلى جانب الاتفاق على قواعد تربوية متقاربة في كلا المنزلين، تشمل مواعيد النوم، واستخدام الأجهزة الإلكترونية، وأوقات اللعب؛ بما يحقق قدرًا من الاستقرار والاتساق في حياة الأطفال.

نجاح الوالدين في إدارة مرحلة

واختتمت المنيس تصريحها بالتأكيد أن نجاح الوالدين في إدارة مرحلة ما بعد الطلاق لا يقاس بمجرد انتهاء الخلاف بينهما، وإنما بقدرتهما على حماية أبنائهما من آثاره، وتوفير بيئة آمنة تسودها الرعاية والطمأنينة، فقد تنتهي العلاقة الزوجية، لكن مسؤولية الأبوة والأمومة لا تنتهي بالطلاق.



حين تتجسّد القيم قدوات وسلوك

القدوة الصالحة وأثرها في المجتمع





عمرو علي

المجتمعات منظومة من القيم والعادات والتصورات التي تتشكل عبر التربية والتعليم والتفاعل الإنساني، وتؤثر فيها النماذج التي تحظى بالإعجاب والقبول، فالإنسان يتأثر بمن يراه، ويستمع إلى من يثق به، وقد يتبنى من سلوك غيره ما لا تستطيع المواعظ وحدها أن تغرسه في نفسه، قال اللّه -تعالى- بعد أن ذكر مجموعة من الرسل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠)، ومن هنا تتجلى أهمية القدوة الصالحة؛ فهي ليست مجرد صورة حسنة في أعين الناس، بل نموذج عملي يجسد المبادئ التي يدعو إليها، ويبرهن على إمكان تحويلها إلى واقع معاش، وإذا صلحت القدوات في الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع ووسائل الإعلام، كان لذلك أثر بالغ في ترسيخ الفضائل، وتعزيز المسؤولية، وتوجيه الأجيال نحو الخير.

أولًا: القدوة في ميزان القرآن الكريم

جعل اللّه -سبحانه- و-تعالى- رسوله محمدًا -ﷺ- الأسوة الحسنة للمؤمنين، وأمر باتباع هديه والاقتداء به، فقال -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، وهذه الآية أصل عظيم في بيان مكانة الاقتداء بالنبي -ﷺ-؛ إذ لم يكن هديه -ﷺ- مقتصرًا على العبادات، بل شمل الرحمة والعدل والوفاء والصبر والتواضع وحسن المعاملة، مع مراعاة ما يختص به كل فعل من أحكام شرعية.

وقد أثنى الله -تعالى- على خُلقه -ﷺ- فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وحين سُئلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -ﷺ-، قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ الْقُرْآنَ»، أي إنه -ﷺ- كان ممتثلًا لما أمر به القرآن، متخلقًا بأخلاقه، واقفًا عند حدوده، ولم يقف القرآن الكريم عند بيان منزلة النبي -ﷺ-، بل وجّه المؤمنين إلى الاقتداء بالصالحين في الصبر والثبات، فقال -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة: ٦).

ثانيًا: القدوة في ميزان السُنَّة النبويَّة

ومن تأمل سيرته -ﷺ- وجد أنه جمع بين كمال الإيمان وحسن المعاملة، وبين قوة الحق والرحمة بالخلق، فقد قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ؟»، إنها طريقة عملية للتربية بالرفق، واحترام النفس الإنسانية، وحسن التعامل مع من هم دون الإنسان منزلةً أو سلطة، وهي قيم يحتاج إليها الوالد والمربي والمعلم والمسؤول والإعلامي، وكل من له تأثير في الآخرين.

ثالثًا: لماذا نحتاج إلى القدوة الصالحة؟

تنبع أهمية القدوة من أن الإنسان يتعلم بالمشاهدة والمحاكاة كما يتعلم بالقول والتوجيه، وقد يسمع الابن من أبيه عشرات النصائح عن الصدق، لكنه يتأثر بصدق أبيه في مواقفه اليومية أكثر من تأثره بكثرة

• ابن باز: الرسول -ﷺ- قدوة في كل شيء، فيما جاء به من أقوال وأعمال فيُتأسّى به في ذلك كله -ﷺ-



المواعظ، وقد يتعلم الطالب معنى الانضباط من معلمه حين يراه ملتزمًا بوقته، عادلًا في أحكامه، محترمًا لطلابه، ولهذا كان الاتساق بين القول والعمل من أهم أسباب التأثير التربوي، قال الله -تعالى في التحذير من مخالفة القول للفعل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣)، وقال -سبحانه- في شأن دعوة أهل الكتاب إلى البر مع إهمال النفس: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٤)، ولا تعني هذه النصوص أن الإنسان لا ينصح غيره حتى يبلغ الكمال؛ فكل بني آدم يخطئون، وإنما المقصود أن يجاهد المرء نفسه ليوافق عمله قوله، وأن يكون أحرص الناس على تطبيق ما يدعو إليه.

رابعًا: السلف الصالح ونماذج الاقتداء

كان الصحابة -رضي الله عنهم- يدركون أن الاقتداء ليس كلمات تقال، بل علم يُتعلَّم، وعمل يُمارس، وأخلاق تظهر في المواقف، ومن الشواهد الصحيحة على ذلك ما رواه مالك بن الحويرث -رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال لهم حين رجعوا إلى أهليهم: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»، وفي هذا التوجيه النبوي دلالة على أن العلم لا ينبغي أن يبقى حبيس صاحبه، بل ينتقل إلى الأسرة والمجتمع من خلال التعليم والعمل والقدوة. فهؤلاء الصحابة لم يُكلَّفوا بمجرد نقل معلومات عن الصلاة، وإنما أُمروا بتعليم أهليهم وإرشادهم، مستندين إلى ما شاهدوه من هدي النبي -ﷺ-.

ومن النماذج البارزة كذلك موقف عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-، الذي ارتبطت سيرته في كتب التاريخ بالعدل والحرص على رد المظالم، وتذكر المصادر التاريخية أخبارًا متعددة عن زهده ومراجعته لسياسات سابقة حين تولى الخلافة. والعبرة هنا أن صلاح المسؤول لا يقاس بما يعلنه من مبادئ فحسب، بل بما يترجمه من قرارات تحفظ الحقوق وتمنع الظلم، ومن أعظم ما ينبغي استحضاره في هذا الباب أن الصحابة والتابعين لم يكونوا

دور الإعلام في إبراز القدوات الصالحة

- إبراز النماذج النافعة: التعريف بالعلماء والمربين وأصحاب الإنجازات بأسلوب موثق وجاذب.
- استخلاص دروس النجاح: إبراز الجهود والتحديات والقيم التي صنعت الإنجازات.
- إحياء القدوات التاريخية: التعريف بأعلام الأمة وسيرهم الثابتة بأساليب إعلامية معاصرة.
- تمكين أهل العلم والخبرة: إتاحة المنابر للمتخصصين الموثوقين لنشر الوعي ومعالجة قضايا المجتمع.
- مواجهة التضليل والتشهير: تحري المصداقية وصون الخصوصية وترسيخ النقد الموضوعي.
- استثمار الإعلام الرقمي: نشر محتوى هادف يعزز القيم، ويلهم الشباب، ويحفز على العمل الناف



معصومين، لكنهم كانوا خير الأجيال بعد الأنبياء، وأقرب الناس إلى فهم الوحي والعمل به. وقد قال النبي -ﷺ-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، والاقتداء بهم يكون باتباع ما ثبت من هديهم الموافق للكتاب والسنة، والاستفادة من سيرتهم في الصدق والعلم والعبادة والعدل والتضحية، لا بمجرد ترديد أخبارهم دون فهم أو تطبيق.

خامسًا: كيف نختار القدوة الصحيحة؟

ليست كل شخصية مشهورة جديرة بأن تكون قدوة، كما أن الشهرة ليست دليلًا على العلم أو الحكمة أو الاستقامة، فقد يشتهر الإنسان بمهارة أو موهبة، لكنه لا يصلح للاقتداء به في كل شأن، وقد يجتمع في شخص ما جانب من التميز مع جوانب من القصور، ولذلك ينبغي أن يقوم اختيار القدوات على معايير واضحة، من أهمها:

١. سلامة المنهج والارتباط بالحق: فالقدوة العليا للمسلم هي رسول الله -ﷺ-، وما عداه من الناس يُقبل من قوله وعمله ما وافق الحق، ولا يُتبع في الخطأ لمجرد مكانته.

٢. صدق السلوك واستقامة المعاملة: فلا يكفي حسن الخطاب أو جمال الصورة، بل ينبغي النظر في الصدق والأمانة والوفاء واحترام الحقوق.

٣. العلم والخبرة في المجال: فمن أراد تعلم الطب رجع إلى أهل الاختصاص، ومن أراد تعلم الدين رجع إلى العلماء المعروفين بالعلم والرسوخ، ومن أراد النجاح في مهنة استفاد من أهل الخبرة والأمانة فيها.

٤. التواضع وقبول النصيحة: فالقدوة الصالحة لا تجعل مكانتها سببًا للتكبر أو رفض الحق، بل تراجع نفسها، وتعترف بخطئها، وتسعى إلى الإصلاح.

٥. التوازن وعدم التقديس: فلا عصمة لأحد بعد الأنبياء، ولا يجوز أن يحمل الإعجاب بشخصية ما على قبول جميع أقوالها وتصرفاتها. وإذا أخطأ العالم أو المربي أو صاحب التأثير، فلا يُتبع في خطئه، مع حفظ حقه في الإنصاف والتقدير.

آثار القدوة الصالحة في المجتمع

- **ترسيخ القيم:** تحويل الفضائل من مبادئ نظرية إلى سلوك عملي وممارسة يومية.
- **تعزيز الثقة:** بكسب احترام الناس من خلال صدق القول واستقامة السلوك والثبات على المبادئ.
- **تحفيز الإصلاح:** إلهام الآخرين للاقتداء بالنماذج الناجحة في العلم والعبادة والعمل وخدمة المجتمع.
- **حماية الأجيال:** تقديم نماذج صالحة توجه اهتمامات الشباب وتحصنهم من القدوات الزائفة.

- من تأمل سيرة النبي -ﷺ- وجد أنه جمع بين كمال الإيمان وحسن المعاملة وبين قوة الحق والرحمة بالخلق
- صلاح القدوات في المجتمع ركيزة لترسيخ الفضائل وتعزيز المسؤولية وتنشئة أجيال واعية تسير على طريق الخير والإصلاح
- تنبع أهمية القدوة من أن الإنسان يتعلم بالمشاهدة والمحاكاة كما يتعلم بالقول والتوجيه
- تبرز مسؤولية الإعلام في إبراز القدوات الصالحة فالكلمة والصورة قد تصنعان أثرًا يغيّر الأفراد والمجتمعات



خطورة التكفير بغير حق

الشيخ: أحمد قبلان العازمي

نقف مع قول الناظم -رحمه الله-:

ولا تكفّرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفحُ

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقالٌ لمن يهواه يُردي ويفضحُ

يقرر الناظم في هذين البيتين أصلًا عظيمًا من أصول أهل السُنَّة والجماعة، وهو التحذير من تكفير المسلمين بالمعاصي التي لا تبلغ الكفر؛ فالمسلم قد تزل قدمه، ويغلبه هواه، ويقع في كبيرة، لكنه لا يخرج بذلك من الإسلام. والواجب نصحه، وتذكيره بالله، ودعوته إلى التوبة، دون استباحة دمه أو الحكم عليه بالخلود في النار؛ فإن الحكم على الناس مردّه إلى الشرع.

ومن الأدلة على هذا الأصل حديث أبي ذر -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبره ببشارة جبريل بأن من مات من أمته لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»؛ متفق عليه. وهذا لا يعني التهوين من الكبائر، وإنما يدل على أن من مات على التوحيد لا يخلد في النار، وأن عصاة الموحدين تحت مشيئة الله؛ إن شاء عفا عنهم، وإن شاء عذبهم، ثم كان مآلهم إلى الجنة.

أعظم أسباب النجاة

فالتوحيد أعظم أسباب النجاة، والمعاصي تنقص الإيمان وتعرّض صاحبها للعقوبة، لكنها لا تزيل أصله، ومن هنا يجمع المؤمن بين الخوف والرجاء؛ فلا يأمن مكر الله، ولا يقنط من رحمته، ولا يجعل تقصير الآخرين سببًا لاحتقارهم أو إغلاق باب التوبة في وجوههم. قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

حرمة كلمة التوحيد

ولكلمة التوحيد حرمة عظيمة، تظهر بوضوح في قصة أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-، حين قتل رجلًا في المعركة بعدما قال: لا إله إلا الله، ظنًّا منه أنه قالها اتقاءً للسلاح. فأنكر عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟»، وظل يكرر عليه الإنكار، حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم. ففي الحديث تعظيم لحرمة الدماء، وتحذير من تجاوز الظاهر إلى الحكم على القلوب بالظنون.

لا نكفّر أحدًا من أهل القبلة

وقول أهل السُنَّة: «لا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» يُحمل على الذنوب التي ليست كفرًا في ذاتها؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر. أما الأقوال والأفعال التي دل الشرع على كونها كفرًا أكبر فلها أحكامها وضوابطها. ولا يصح الخلط بين وصف قول أو فعل بأنه كفر، وبين تنزيل الحكم على شخص بعينه؛ فهذا يحتاج إلى علم وتثبت، ومراعاة الشروط والموانع، وليس مجالًا للتسرع أو الخصومات.

خطر القول على الله بغير علم

ومن أعظم ما يحفظ اللسان في هذا الباب استحضار خطر القول على الله بغير علم، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن رجل قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله -تعالى-: «من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»؛ رواه مسلم. فكيف يتجرأ عبد على أن يحكم بحرمان غيره من رحمة الله؟ وكيف يغتر بطاعته حتى يجعل نفسه حاكمًا على مصائر الخلق؟ إن واجب الناصح أن يدل على الخير، لا أن يتألى على ربه.

انحراف الخوارج

وقد انحرف الخوارج عن هذا الأصل، فكفّروا المسلمين بالكبائر، ورتبوا على ذلك استباحة دمائهم؛ ولهذا جاءت

السُنَّة بالتحذير الشديد من منهجهم، ووصف النبي -ﷺ- حالهم بقوله: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»؛ وهذه ثمرة خطيرة للغلو؛ إذ تتحول الدعوى من إصلاح الدين إلى اعتداء على أهله، ويصبح المسلمون هدفًا للتكفير والعدوان، بدل أن تُصان دماؤهم وتُحفظ جماعتهم.

خطر هذا الفكر

وليس خطر هذا الفكر مقصورًا على خطأ نظري؛ فالتكفير بغير حق يفتح أبواب الفتنة، ويغذي العداوة، ويمزق المجتمعات، ويصرف الناس عن مصالح دينهم ودنياهم، وقد يبدأ الأمر بكلمة يتهاون بها صاحبها، ثم تتسع دائرتها حتى تصبح ذريعة للطعن في الأعراض، واستباحة الأموال والدماء؛ ولهذا كان التثبت في أحكام الإيمان والكفر ضرورة شرعية، وكانت الجرأة عليها من علامات الخلل في العلم والفهم.

ضبط الأحكام بالأدلة

ولا يعني التحذير من التكفير بغير حق إنكار وجود الكفر، أو إلغاء الفروق بين الإسلام وغيره من الأديان؛ فقد قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقال -تعالى-: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، فكل دين غير دين الإسلام كفر وضلال، وإنما المقصود ضبط الأحكام بالأدلة، والتفريق بين بيان العقيدة والحكم على المعيّن ممن هو من المسلمين، مع التزام العدل، وصيانة الحقوق.

التحذير من اتهام المسلم بالكفر

وقد حذّر النبي -ﷺ- من اتهام المسلم بالكفر، فقال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»؛ وهو

- **التوحيد أعظم أسباب النجاة والمعاصي تنقص الإيمان وتعرّض صاحبها للعقوبة لكنها لا تزيل أصله ما لم تكن ناقضًا من نواقض الإسلام**
- **الوقاية من الغلو تبدأ بتعظيم النصوص وفهمها على هدي العلماء الراسخين وصيانة حرمة المسلم والتثبت قبل إطلاق الأحكام**
- **من أخطر وسائل أصحاب الغلو إقامة الحواجز بين الناس والعلماء بالطعن فيهم وتشويه مقاصدهم حتى يسهل الانفراد بالشباب وتوجيههم**

وعيد شديد يوجب حفظ اللسان والتثبت، وليس لكل أحد أن يخوض في هذا الباب، لما يترتب عليه من أحكام تتصل بالزواج والإرث والصلاة وغيرها؛ فالمرجع فيه إلى أهل العلم المؤهلين، وما يحتاج إلى قضاء وتنفيذ فإلى الجهات المختصة، لا إلى الأفراد والجماعات.

أسباب الاغترار بالخوارج

ومن أسباب الاغترار بالخوارج ظهور العبادة على بعضهم؛ فقد تكون لهم صلاة وصيام وقراءة، مع فساد الفهم والانحراف في الاستدلال؛ فالعبرة ليست بكثرة الشعارات، ولا بحسن العبارة، وإنما بموافقة الحق وحسن فهم النصوص؛ ولهذا لا تكفي الحماسة لحماية صاحبها من الضلال، بل لا بد معها من علم راسخ، وتواضع للحق، ورجوع إلى العلماء، وحذر من العجب بالنفس والجرأة على الآخرين.

أخطر وسائل أصحاب الغلو

ومن أخطر وسائل أصحاب الغلو إقامة الحواجز بين الناس والعلماء، بالطعن فيهم وتشويه مقاصدهم، حتى يسهل الانفراد بالشباب وتوجيههم، وقد عايشت قبل أكثر من ثلاثين سنة رجلًا يحاول إقناعنا بالتكفير، فكنت أحيله إلى العلماء، ومنهم الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-، فادعى أن الوصول إليه متعذر بسبب الحراسة. وبعد أيام ذهبت إلى الشيخ، وخرجت معه من صلاة الفجر، أمشي بجانبه وأسأله حتى اقتربنا من بيته؛ فتبين لي بطلان تلك الدعوى.

الوقاية من الغلو

إن الوقاية من الغلو تبدأ بتعظيم النصوص، وفهمها على هدي العلماء الراسخين، وصيانة حرمة المسلم، والتثبت قبل إطلاق الأحكام، فلا نغتر بزخرف القول، ولا تحملنا الغيرة على تجاوز حدود الشرع، ولا نجعل المعصية بابًا لإخراج المسلم من دينه؛ فسلامة الاعتقاد تقترن بالعلم والعدل والرحمة، وبها تُحفظ الجماعة، وتُصان الدماء، ويُغلق باب الفتنة.

من القواعد الفقهية في العمل الخيري

الخطأ لا يُستدام ولكن يُرجَع عنه

وتطبيقاتها في العمل الخيري

د. عيسى القدومي

تقوم الأعمال الخيرية والوقفية على الأمانة وحفظ الحقوق؛ فهي تتعامل مع أموال المتبرعين، وشروط الواقفين، وحقوق المستحقين. والقائمون عليها بشر يجتهدون فيصيبون ويخطئون، والشريعة لم تكلّفهم العصمة من الخطأ، لكنها أوجبت عليهم الرجوع عنه متى تبيّن لهم، وعدم التمادي فيه بعد العلم به، وهذا هو جوهر القاعدة الفقهية« :الخطأ لا يُستدام ولكن يُرجَع عنه»، التي تمثل أصلًا مهمًا في تصحيح التصرفات، وحماية الأموال والحقوق، وتعزيز المسؤولية في المؤسسات الخيرية والوقفية.

معنى القاعدة ومضمونها

أورد محمد صدقي آل بورنو هذه القاعدة في موسوعة القواعد الفقهية (٢٨٧/٥)، ومفادها أن الخطأ الذي يقع لا يجوز الاستمرار عليه بعد انكشافه، بل يجب الرجوع إلى الصواب وتصحيح ما ترتب عليه من آثار بقدر الإمكان، فالخطأ هو مخالفة الصواب دون قصد، أو بناءً على ظن تبيّن خلافه، وعدم استدامته يعني ترك الاستمرار فيه بعد العلم به، أما الرجوع عنه فيشمل تصحيح التصرف ومعالجة آثاره.

وتقوم القاعدة على التفريق بين مرحلتين: مرحلة وقوع الخطأ دون علم أو قصد، حيث يرتفع الإثم عن المخطئ المعذور، ومرحلة انكشافه؛ حيث يجب تصحيحه، ويكون الإصرار على المخالفة مع العلم بها موجبًا للمؤاخذة، ومع ذلك، فإن رفع الإثم لا يستلزم سقوط الضمان أو حقوق الآخرين، كما أن تقدير المسؤولية يتأثر بطبيعة الخطأ ووجود التفريط أو التعدي.

الأدلة الشرعية للقاعدة

تستند القاعدة إلى نصوص شرعية ترفع الحرج عن الخطأ غير المقصود، وتنهى عن الإصرار على المخالفة بعد العلم بها، قال -تعالى-: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥)، ففرّقت الآية بين الخطأ والتعمد، وقال -سبحانه-: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وثبت في صحيح مسلم أن الله -تعالى- قال: «قد فعلت»، وفي النهي عن الإصرار قال -تعالى- في وصف المتقين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

ومن السنة قوله -ﷺ-: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه»، وقوله -ﷺ-: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»، فالمجتهد المؤهل مأجور على اجتهاده، لكن ذلك لا يبيح له الاستمرار فيما ظهر له خطؤه، ومن التطبيقات النبوية ما وقع في بعث خالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلى بني جذيمة، فلما بلغ النبي -ﷺ- ما وقع، قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، ثم عولجت آثار الواقعة، مما يدل على عدم إقرار الخطأ وضرورة تداركه.



الخطأ في توجيه الصدقات

ورد في صحيح البخاري حديث الرجل الذي تصدق على سارق، ثم على زانية، ثم على غني، فقيل له إن صدقته قد قُبلت، ويدل الحديث على قبول صدقة التطوع مع الخطأ في اختيار المستفيد، أما الزكاة ففي إجزائها عند صرفها لغير المستحق خلاف فقهي معروف، وتختلف مسؤولية المؤسسة الخيرية عن المتصدق الفرد؛ لأنها وكيلة عن المتبرعين أو ناظرة على الأوقاف، ومن ثم يجب عليها التحقق من الاستحقاق والالتزام بشروط الصرف، وتصحيح الأخطاء متى اكتُشفت.

تطبيقات القاعدة في العمل الخيري والوقفي

أولًا: القرارات الإدارية؛ إذا اتخذت إدارة المؤسسة قرارًا باجتهاد ثم تبيّن خطؤه، وجبت مراجعته وتصحيحه، ولو صدر عن مجلس الإدارة أو أُعلن للناس. وكذلك إذا ثبتت مخالفة لائحة أو سياسة لحكم شرعي أو نظام ملزم، تعيّن تعديلها وفق الإجراءات المعتمدة.

ثانيًا: صرف التبرعات والمساعدات

إذا صُرفت التبرعات في غير الأغراض المخصصة لها، وجب وقف المخالفة وتصحيحها، وإعادة ما صُرف إلى بنده وفق الضوابط الشرعية والنظامية، وإذا تبيّن عدم استحقاق أحد المستفيدين، أُوقف الصرف إليه، ونُظر في استرداد ما أخذه إذا ثبت تدليسه. أما المستحق الذي أُغفل خطأً، فيُعمل على إنصافه وجبر ما فاته بحسب الإمكان والحقوق الثابتة.

ثالثًا: إدارة المشاريع الخيرية؛ إذا ثبت أن مشروعًا خيريًا لا يحقق أهدافه، أو يستنزف الموارد دون نفع معتبر، وجبت مراجعة جدواه وتصحيح مساره، مع مراعاة شروط المتبرعين والالتزامات القائمة، ولا يصح اتخاذ الأموال التي سبق إنفاقها مسوغا للاستمرار في مشروع

• تقتضي هذه القاعدة مراجعة مجالس الإدارة لقراراتها دوريًا وتقديم الصواب على الاعتبارات الشخصية والإدارية مع تعزيز الرقابة الشرعية على العقود والاستثمارات الوقفية وضمان الالتزام بالأنظمة

ثبت عدم جدواه؛ فالعبرة بتحقيق المصلحة وحسن توظيف الموارد المتبقية.

رابعًا: النظارة على الأوقاف؛ إذا أخطأ الناظر في فهم شرط الواقف، ثم تبيّن له الصواب، وجب الالتزام بالشرط وتصحيح ما يمكن من آثار الخطأ، وإذا ظهر غبن فاحش في عقد استثمار أو إجارة، سعى الناظر إلى معالجته بالطرق المشروعة. وكذلك إذا تعطلت منافع الوقف، وجب البحث عن وسائل إصلاحه أو استبداله وفق الضوابط الشرعية وموافقة الجهات المختصة.

التطبيق المؤسسي للقاعدة

تمثل الحوكمة والالتزام الإطار العملي لتطبيق هذه القاعدة؛ إذ تساعدان على اكتشاف الأخطاء مبكرًا، وتحديد المسؤوليات، وتصحيح المخالفات، ومنع تكرارها، وتتجلى صلة القاعدة بمبادئ الحوكمة في عدة جوانب:

- **الشفافية:** تشجيع الإفصاح عن الأخطاء وعدم إخفائها.
- **المساءلة:** التمييز بين الخطأ المهني والاجتهاد المعتبر، وبين التفريط والمخالفة المتعمدة.
- **الرقابة الداخلية:** متابعة القرارات والمصروفات واكتشاف التجاوزات.
- **حماية الحقوق:** معالجة الأخطاء المالية وجبر الأضرار وفق الأحكام والضوابط المعتمدة.
- **الالتزام الشرعي والنظامي:** مراجعة العقود والاستثمارات وشروط الواقفين والمانحين.

ومن مقتضيات الحوكمة ألا ينفرد المسؤول بتقييم خطئه، بل تتولى المراجعة جهة مختصة تتمتع بالاستقلال المناسب، مع مراعاة أن المسؤولية الشخصية والضمان يحددهما نوع التصرف ودرجة التقصير والأحكام المنظمة له.

دور مجالس الإدارة ووظيفة الالتزام

تقتضي القاعدة أن تراجع مجالس الإدارة قراراتها دوريًا، وألا تحول الهيبة الإدارية أو الاعتبارات الشخصية دون الرجوع إلى الصواب، كما تتطلب وجود رقابة شرعية على العقود والاستثمارات الوقفية، ومتابعة الالتزام بالأنظمة، ولا سيما متطلبات مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، وشروط المانحين والواقفين، ومن المهم توفير قنوات آمنة للإبلاغ عن المخالفات، وحماية المبلّغين، ومعالجة الأخطاء بعيدًا عن التستر أو المجاملة؛ لأن إخفاء الخطأ قد يؤدي إلى استدامته وتفاقم آثاره.

خطوات عملية لمعالجة الخطأ

يمكن ترجمة القاعدة إلى إجراءات مؤسسية مترابطة تبدأ باكتشاف الخطأ عبر التدقيق أو المراجعة أو البلاغات، ثم توثيقه وتحديد طبيعته ومدى ثبوته، واتخاذ ما يلزم لوقف المخالفة ومنع استمرار آثارها، ويلي ذلك تحليل الأسباب، والتمييز بين الاجتهاد والتفريط، ثم تصحيح التصرف وجبر الأضرار واسترداد الحقوق حيث يجب ويسوغ، مع إبلاغ الجهات المعنية بحسب جسامة المخالفة ومتطلبات النظام، وتكتمل المعالجة بمراجعة الإجراءات وتطوير الرقابة والتدريب، بما يمنع تكرار الخطأ مستقبلًا.



شذرات

كيف نكتسب مكارم الأخلاق؟

ليلى الخضر

• إن لإخلاص العمل تأثيراً عظيماً في مكارم الأخلاق، فهو يمد قلب صاحبه بقوة تجعله ينهض للمكارم ابتغاء وجه الله، غير منتظر من أحد جزاءً ولا شكوراً

مكارم الأخلاق تعشقها القلوب، وتهفو إليها النفوس؛ فهي صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تنال الدرجات وترفع المقامات، فمن رزق الأخلاق ترأس وساد وأحبه العباد، وفتحت له القلوب؛ لأنه صاحب أخلاق، فكيف نكتسب مكارم الأخلاق؟

مكارم الأخلاق تعشقها القلوب، وتهفو إليها النفوس؛ فهي صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تنال الدرجات وترفع المقامات، فمن رزق الأخلاق ترأس وساد وأحبه العباد، وفتحت له القلوب؛ لأنه صاحب أخلاق، فكيف نكتسب مكارم الأخلاق؟

أولاً: الإخلاص

إن لإخلاص العمل تأثيراً عظيماً في مكارم الأخلاق، فهو يمد قلب صاحبه بقوة تجعله ينهض للمكارم ابتغاء وجه الله، غير منتظر من أحد جزاءً ولا شكوراً، يشرح صدره للحلم والعفو ومعالي الأخلاق امتثالاً لأمر الله وطلباً لرضاه والفوز بنعيم الآخرة؛ فهو إن أعطى فعطاؤه لله، وإن منع فمنعه لله، وإن أحب فمحبته لله، وإن أبغض فبُغضه لله، وإن صبر فصبره لله، وإن غضب فغضبه لله، وهكذا في شأنه كله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٣)، قال رسول الله -ﷺ-: «أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلْيَاءُ همّةَ نَفْسِه
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ

ثانياً: العلم

العلم أصل عظيم من أصول الأخلاق فهو يثمر التدين الصحيح، فكم من آية في كتاب الله تقرؤها فترقق قلبك لله! وكم من حديث تتخلق به مع الناس يجلب لك محبة الله ثم محبة الناس فتعيش سعيداً!

قال ابن القيم -رحمه الله-: «كل ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكل ما كان فيه من ذم فهو من ثمرة الجهل»، والعلم المقصود هنا هو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. ولا يأتي الفضائل من لم يتعلم العلم إلا صافي الطبع جدا، وهذه منزلة حظي بها النبيون -عليهم السلام-؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- علمهم الخير كله دون أن يتعلموه من الناس.

ثالثاً: النظر في كتاب الله -تعالى-

جمع كتاب الله -سبحانه وتعالى- مكارم الأخلاق خير جمع، ونظمها خير نظم ما فرط الله فيه من شيء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، (الإسراء: ٩)، فمن أراد مكارم الأخلاق فليعتمد على كلام الله وسنة رسول الله -ﷺ-، ويحاول جاهداً أن يتخلق بأخلاق القرآن، فقد كان خُلُقُ رسول الله -ﷺ- القرآن كما وصفته بذلك زوجه عائشة بنت الصديق -رضي الله عنها-.

عن سعد بن هشام قال: قلت يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله -ﷺ-، قالت: ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت «فإنّ خُلق نبي الله -ﷺ- القرآن، قال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، فالكتاب والسُنَّة يكفيان لمن يريد إدراك هذا العلم والتحلي به عن تلك الكتب المشار إليها، فإن الصباح يغني عن المصباح.

مرفأ القلم

شمائل النبي ﷺ طريقٌ إلى المحبة والاقتداء

يازي العنزي

إن من أجلِّ العلوم وأشرفها ما كان متعلقًا برسول الله -ﷺ-؛ إذ هو المبلِّغ عن ربه، والقدوة التي أمر الله عباده باتِّباعها، فقال -سبحانه-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ومن أعظم ما يعين على تحقيق هذا الاقتداء معرفةُ شمائله -ﷺ-؛ فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال، ولا كمال أعظم من الكمال الذي أكرم الله به نبيه محمدًا -ﷺ-، فمن تأمل شمائله ازداد له حبًا، ومن ازداد له حبًا ازداد به اقتداءً، ومن اقتدى به سعد في دنياه وأخراه؛ ولهذا كانت معرفة شمائل النبي -ﷺ- من أجلِّ العلوم وأعظمها أثرًا في تزكية النفوس وإحياء الإيمان.

والشمائل المحمدية هي الصفات الخَلقية والخُلقية التي اختص الله بها نبيه -ﷺ-، ونقلها الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- بأمانة ومحبة، ليبقى نورها هاديًا للأجيال، ومصدرًا للتزكية والتربية والإصلاح.

لقد كان رسول الله -ﷺ- أجمل الناس خَلْقًا، وأكملهم خُلُقًا، جمع الله له محاسن الصفات الظاهرة والباطنة، حتى أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. فما عُرف عنه فُحشٌ في قول، ولا غلظةٌ في معاملة، ولا انتقامٌ لنفسه، بل كان رحيمًا بأمته، رفيقًا بأصحابه، حليمًا على من أساء إليه، يعفو عند المقدرة، ويحسن إلى من ظلمه، ويرجو هداية من عاداه.

ومن أعظم شمائله -ﷺ- رحمته الواسعة، فقد بعثه الله رحمةً للعالمين، فشملت رحمته القريب والبعيد، والصغير والكبير، والإنسان والحيوان. وكان إذا رأى ما يشق على أمته اختار الأيسر ما لم يكن إثمًا، حرصًا على رفع الحرج عنهم وتيسير الدين لهم.

كما تجلت في سيرته صفة التواضع بأبهى صورها؛ فمع علو منزلته عند الله كان يخدم نفسه، ويجلس حيث انتهى به المجلس، ويجيب دعوة الفقير، ويخالط الناس بلا تكلف ولا استعلاء. فكان تواضعه شاهدًا على عظمة نفسه وكمال عبوديته لربه.

ومن شمائله كذلك الكرم والجود، فقد كان أجود الناس، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويؤثر غيره على نفسه، ويبذل المعروف ابتغاء وجه الله -تعالى-، وكان صدقه وأمانته مضرب المثل قبل البعثة وبعدها، حتى لُقِّب بالأمين؛ فاجتمعت له ثقة الناس ومحبة المؤمنين.

نطق القلم

لن نتوقف..!

إيمان الطويل

إن كل ما في هذا الكون الفسيح من مجرات، ونجوم، وكواكب، ومخلوقات يسير بدقة متناهية وبنظام محكم لا يختل، وكل ذلك خاضع لقدرة الله -سبحانه وتعالى- وتدبيره، وقد جسّد القرآن الكريم هذه الحقيقة الإيمانية والكونية في آيات كثيرة تُظهر أن الحركة هي سمة هذا الكون بتقدير من الخالق، ومنها:

- جريان الشمس والقمر: قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨)، وفي قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).
- حركة الجبال والأرض: قال -تعالى-: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل:٨٨)؛ لذا فإن الحياة لا تنتظر المتوقفين؛ فالتوقف عن الحركة والبذل بداية الركود والزوال، والحركة والعمل هما وقود البقاء وسنة الله في خلقه، تماماً كما أن أجرام الكون ومجراته في حركة دائمة لا تهدأ، فإن حياة الإنسان لا تزدهر ولا تستقيم إلا بالسعي وبذل الجهد.

وفي حديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: «إن قامت السّاعةُ وفي يد أحدكم فسيلةٌ، فإن استطاعَ ألا تقومَ حتّى يغرسَها فليغرسْها»، فالحديث يدعو إلى الحرص على العمل الصالح واستغلال الوقت حتى اللحظة الأخيرة من الحياة، وعدم الركون إلى الكسل أو البطالة، هكذا لابد أن نكون في عمل دؤوب لا نكل ولا نمل، نغرس اليوم البذرة، ونستظل بظلها اليوم وغدا.

وقفات مع أنبياء الله -تعالى-

ولنا وقفات مع أنبياء الله الأسوة الحسنة في دعوتهم إلى عبادة الله وحده، فهذا نبي الله نوح -عليه السلام- دعا قومه فقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

سنوات طويلة دعا فيها ربه

وهذا نبينا محمد -ﷺ- لبث ثلاثا وعشرين عاما في دعوته، لاقى ما لاقى من صعاب وأذى، وهاجر من أحب البقاع إليه مكة المكرمة إلى المدينة في سبيل الله، لنشر كلمة التوحيد واستجابة لأوامر الله؛ فعلى كل من يحمل هم الدعوة أن يستمر ولا يتوقف أبدا، استعن بالله ولا تعجز! وصية نبوية خالدة، وعلى المرأة التي حباها الله بالعلم الشرعي أن توصله للنساء والفتيات؛ فالحاجة ماسة والخطب جلل! إن لم نتدارك الهجمة الشرسة على المرأة المسلمة سنندم.

كلنا شاهدنا حملات تشويه الحجاب وحملات ضد تغطية الوجه، وعن سفرها بلا محرم وإلى أين سيصلون؟ لا نعلم، فالواجب يحتم علينا أن نواجه ونُظهر الحق، هم لن يتوقفوا عن شرورهم وبث سمومهم، ودورنا ألا نتوقف أبدا عن الدعوة: أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وبذل غاية الجهد، والسير على طريق الهدى والرشاد، مسيرا واضح المعالم مستنيرين بهدي الرحمن وسنة نبيه -ﷺ-.

صفات شباب الصحابة
-رضي الله عنهم-



جيل الصحابة كان جيلًا عظيمًا بما حمله من إيمان صادق، وعلم نافع، وعمل صالح، واستعداد للتضحية من أجل دين الله -عزوجل-، فلم يكتفوا بمعرفة الحق، بل جعلوه منهجًا لحياتهم، فاجتمع في شخصياتهم صدق العبادة، وحسن الخلق، وقوة الإرادة، والشعور بالمسؤولية، فاستحقوا أن يكونوا قدوة للأجيال.

١. الإيمان المبكر والثبات عليه: كثير من السابقين إلى الإسلام كانوا شبابًا، كعلي بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، والأرقم بن أبي الأرقم، وسعد بن أبي وقاص، -رضي الله عنهم جميعًا- وقد ثبتوا على دينهم رغم الأذى والتعذيب والمقاطعة.

٢. الشجاعة والإقدام: فعلي -رضي الله عنه- نام في فراش النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة الهجرة وهو يعلم الخطر، ومعاذ ومعوّذ ابنا عفراء -رضي الله عنهما- كانا غلامين يوم بدر، وكان لهما دور في مقتل أبي جهل، وعمير بن أبي وقاص -رضي الله عنه- بكى يوم بدر خوفًا أن يردّه النبي -صلى الله عليه وسلم- لصغر سنه، فأجازه.

٣. الجد في طلب العلم: فهذا عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفقه في الدين والتأويل، فكان حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يلزم كبار الصحابة ويسألهم، وهذا زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، تعلّم لغات اليهود والسريان بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان من كتّاب الوحي، وتولى جمع القرآن.

٤. تحمّل المسؤولية: فهذا أسامة بن زيد -رضي الله عنه- وُلّي قيادة جيش فيه كبار الصحابة وهو في أواخر مراهقته، وبعثُ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى اليمن معلمًا وقاضيًا مثال آخر على الثقة بالشباب وتمكينهم.

٥. الأدب وحسن الخلق: فكانوا يوقّرون الكبار ويتأدبون في مجالس الكبار، كابن عباس في سؤاله لعمر -رضي الله عنهما-، مع ما أُوتوا من علم وفهم، وكان الحياء والصدق والأمانة من سماتهم.

٦. العبادة والعفة: فقد تحققت فيهم صفة «شاب نشأ في عبادة الله» التي جاءت في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وكانوا أهل قيام وصيام وقرآن وزهد.

٧. البرّ بالوالدين: ظهر ذلك عند سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وغيره؛ إذ جمعوا بين الثبات على الإسلام وحسن الصحبة لوالديهم.

كيف نقتدي بجيل الصحابة؟

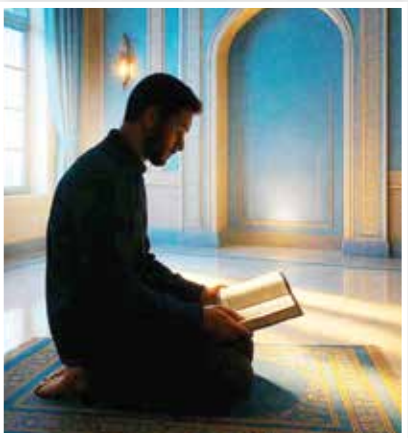
ليست القدوة بالصحابة مجرد الإعجاب بسيرهم أو ترديد مواقفهم، وإنما أن نترجم قيمهم إلى واقع نعيشه؛ فنصدق كما صدقوا، ونتعلم كما تعلموا، ونحسن إلى الناس كما أحسنوا، ونقدم الواجب على الهوى. إن الاقتداء الحقيقي لا يقف عند معرفة التاريخ، بل يبدأ حين تتحول المواقف العظيمة إلى أخلاق وأعمال في حياتنا.

حقيقة السعادة في حياة الشباب

- **ليست السعادة في كثرة ما تملك، ولا في إعجاب الناس بك، ولا في تحقيق كل ما تشتهي؛ وإنما السعادة الحقيقية في قلب يعرف ربه، ويرضى بما قسم له، ويحسن استثمار ما وهبه الله من نعم، ويعيش لغاية سامية تمنح حياته معنى، وتملأ قلبه طمأنينة، وتقوده إلى حسن العاقبة.**
- **السعادة أن تعرف لماذا تعيش؛ فقد يمتلك الشاب أسباب الراحة والترفيه، ومع ذلك يشعر بالفراغ؛ لأن الحياة لا تستقيم بالمتعة وحدها، بل تحتاج إلى غاية ومعنى، وحين يدرك الشاب أنه خُلق لعبادة الله، وأن عمره فرصة للعمل الصالح وعمارة الأرض، تتحول أيامه من أوقات تمضي إلى رسالة يؤديها، ويصبح للنجاح معنى أعمق من مجرد التفوق والمكاسب.**

أخلاقك عنوان شخصيتك

قال رسول الله -ﷺ-: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضبِ»، فقوة الشخصية ليست في ارتفاع الصوت، ولا في الانفعال على الآخرين، وإنما في حسن التعامل، وضبط اللسان، واحترام الناس، والقدرة على الاختلاف دون إساءة، فالشاب الذي يحفظ كرامة الآخرين، ويحسن عند الخلاف، ويعتذر إذا أخطأ، يكشف عن شخصية ناضجة، وقوة داخلية لا تحتاج إلى استعراض، فمن السهل أن تحسن التعامل مع من يوافقك ويقدرك، لكن حقيقة أخلاقك تظهر حين تختلف مع الآخرين، أو تتعرض للاستفزاز، أو تملك القدرة على الرد بالإساءة، عندها يتبين أثر التربية



والإيمان؛ فليس حسن الخلق مجرد كلمات لطيفة، بل مواقف تحتاج إلى صبر وحلم وعدل، خاصة عندما يكون الغضب أقرب إلى النفس من التسامح.

من أراد السعادة فعليه بأسبابها



قال سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله-: السعادة طريقها واضح، من أراد السعادة فعليه بأسبابها، وهي: طاعة الله ورسوله -ﷺ-، والاستقامة على دينه، وصحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار، والصبر على الطاعات وعن المعاصي، والرضا بأقدار الله، والشكر على نعمه، والإكثار من ذكره ودعائه؛ فهذه أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

السعادة لا تنال إلا بالطاعة



قال الشيخ عبدالرزاق عبدالمحسن البدر: السعادة بيد الله ولا ينالها العبد إلا بطاعة الله -تبارك وتعالى-، ومهما بحث الإنسان عن سعادة نفسه في غير هذا السبيل فلن يحصل إلا الشّقاء والنّكد والنّصب والتعب وسوء الحال وضياع الأوقات في غير طائل، فأساس قاعدة السّعادة ومرتكزها الذي عليه تدور، ومحورها الذي إليه ترجع هو الإيمان بالله -تبارك وتعالى-.

نموذج فريد وقدوة مضيئة

جمع شباب الصحابة بين رسوخ العقيدة، وطلب العلم، وصلاح العمل، والشجاعة، وسمو الأخلاق؛ فكانوا نموذجًا فريدًا في بناء الشخصية المسلمة، وقدوةً مضيئةً لشباب الأمة في كل عصر.

لا تتخذ قرارك وأنت غاضب!

قد تدفعك لحظة غضب إلى كلمة جارحة أو قرار متسرع، ثم تقضي وقتًا طويلًا في إصلاح ما أفسدته تلك اللحظة؛ فامنح نفسك فرصة للتفكير قبل أن تتكلم أو تتصرف، ولا تجعل انفعالك يتحكم في قراراتك؛ فليس كل ما تشعر به ينبغي أن تقوله، ولا كل ما تقدر عليه يحسن أن تفعله، وإنما الحكمة أن تملك نفسك حين تشتد مشاعرك، وتزن عواقب أفعالك قبل الإقدام عليها.

كن جميل الأثر

قد ينسى الناس كلماتك، وتغيب عن ذاكرتهم إنجازاتك، لكنهم لا ينسون أثر معاملتك في نفوسهم، فالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة، واحترام الكبير، والرفق بالصغير، ومساعدة المحتاج، أعمال يسيرة في ظاهرها، عظيمة في أثرها؛ فاحرص أن تكون ممن إذا حضروا نشروا المودة، وإذا غابوا بقي ذكرهم الحسن.

كن قدوة

لا تنتظر أن تصبح عالمًا أو صاحب منصب أو شهرة حتى تكون قدوة لغيرك؛ فقد تكون قدوة لأخيك الصغير بصلاتك، ولزميلك بأمانتك، ولأصدقائك بحسن خلقك، ولمن حولك بانضباطك واحترامك، فالقدوة لا تبدأ بالمكانة التي يبلغها الإنسان، وإنما بالقيم التي يلتزم بها، والأثر الحسن الذي يتركه في محيطه.



أثر الأفكار النسوية في استقرار الأسرة

جعل الإسلام الأسرة قائمة على المودة والرحمة والتعاون بين الزوجين، قال الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، غير أن بعض الخطابات النسوية تسعى إلى تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها صراع على السلطة والحقوق؛ ما قد يضعف الثقة بين الزوجين، ويؤثر في استقرار الأسرة، ومن المهم في مواجهة هذه الأفكار التأكيد على مجموعة من الأسس الشرعية والتربوية:

● **الحقوق تقابلها مسؤوليات:** أقام الإسلام الحياة الأسرية على العدل والتوازن بين الحقوق والواجبات، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨). فلا يصح أن يطالب أحد الزوجين بحقوقه ويتجاهل واجباته، بل يتحقق الاستقرار حين يعرف كل طرف ما له وما عليه، ويؤدي مسؤولياته بروح من المودة والإحسان.

● **الاستقلال لا يعني التخلي عن الأسرة:** حفظ الإسلام للمرأة كرامتها وحقوقها، وأقر حقها في التملك والتعلم والعمل المشروع، ولم يجعل ذلك متعارضًا مع مسؤولياتها الأسرية. وإنما يظهر الخلل حين يُصوَّر الزواج أو الأمومة على أنهما عائق أمام نجاح المرأة وتحقيق ذاتها؛ فالأسرة المستقرة تعين أفرادها على تنمية قدراتهم وتحقيق طموحاتهم، دون إهمال حقوق بعضهم أو مسؤولياتهم المشتركة.

● **العلاقة الزوجية تكامل لا تنافس:** لا تقوم الحياة الزوجية على إثبات تفوق أحد الزوجين على الآخر، وإنما على التعاون والتفاهم وحسن العشرة، قال الله -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، فنجاح الأسرة لا يتحقق بانتصار طرف على الآخر، بل بقدرتهما على تجاوز الخلافات، وحفظ المودة، والتعاون في تربية الأبناء وبناء بيت مستقر.

والخلاصة: أن حماية الأسرة لا تكون بانتقاص حقوق الرجل أو المرأة، وإنما بالالتزام بمنهج الإسلام الذي يجمع بين العدل والرحمة، ويحفظ الحقوق، ويوازن بين المصالح الفردية والمسؤوليات الأسرية، ويجعل من الزوجين شريكين في بناء أسرة صالحة مستقرة.

رسالة إلى الزوجة المسلمة

اجعلي من بيتك سكنًا تسوده المودة والرحمة، ومن حسن عشرتك مصدرًا للألفة والاستقرار، وكوني لزوجك عونًا على الخير، ولأبنائك قدوة في الإيمان والأخلاق، واجعلي الرفق زينتك، والحكمة منهجك، والتغافل عن الهفوات سبيلك؛ فأنت ركيزة بناء الأسرة، وأهم مصادر سعادتها واستقرارها.

مقاصد الأسرة المسلمة

- **الأسرة المسلمة هي مؤسسة تربوية وإيمانية**، تقوم على عبادة الله، وتحقيق السكن والمودة، وحفظ النسل، وتنشئة الأبناء على الإيمان والأخلاق، وكلما استحضرت الأسرة هذه المقاصد، أصبحت أقدر على تجاوز خلافاتها، وترتيب أولوياتها، وبناء أجيال صالحة نافعة لدينها ومجتمعها.

- **ففي الأسرة تتشكل ملامح الشخصية**، وتُغرس بذور الإيمان، ويتعلم الأبناء معاني الصدق والأمانة والرحمة والمسؤولية، وما يتلقاه الطفل من قدوة صالحة ومواقف تربوية داخل بيته أعمق أثرًا من كثير من المواعظ والتوجيهات؛ ولذلك فإن بناء الأسرة الصالحة هو في حقيقته بناء للإنسان، واستثمار في مستقبل المجتمع والأمة.

- **ومن أعظم مقاصد الأسرة المسلمة** أن يجد كل من الزوجين سكنًا نفسيًا وطمأنينةً ومودة؛ فلا تكون الحياة الزوجية مجرد التزامات مادية أو أدوار يومية، بل علاقة إنسانية يجد فيها كل طرف الأمان والتقدير والرحمة، وكلما تعزز هذا المعنى، أصبحت الأسرة أكثر قدرة على مواجهة ضغوط الحياة وتجاوز خلافاتها.

التغافل من أسرار الاستقرار الأسري



من حسن العشرة بين الزوجين التغافل عن الهفوات اليسيرة، وعدم الوقوف عند كل خطأ أو محاسبة الطرف الآخر على كل تقصير؛ فالحياة الزوجية لا تخلو من اختلاف، ودوام العتاب يضعف المودة ويُورث النفور، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل»، وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «ما زال التغافل من فعل الكرام»، وأرشد النبي -ﷺ- إلى النظر إلى المحاسن وعدم الوقوف عند العيوب، فقال: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخر»، فالتغافل الحكيم ليس إهمالًا للحقوق أو قبولًا للظلم، وإنما هو تجاوز عن صغائر الأمور، وحفظ للمودة، وتقديم للرحمة على كثرة العتاب.

التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة المسلمة

تواجه الأسرة المسلمة تحديات متزايدة؛ أبرزها الانشغال بالشاشات على حساب التواصل الأسري، وتأثير المنصات الرقمية في أفكار الأبناء وقيمهم، والمقارنات التي تضعف الرضا والقناعة، فضلًا عن ضغوط العمل التي تقلل من حضور الوالدين في حياة أبنائهم، ومواجهة هذه التحديات لا تكون بالعزلة عن العصر، وإنما بتعزيز الإيمان، وترسيخ الحوار والثقة، وحسن توجيه الأبناء، وتحقيق التوازن بين متطلبات الحياة وحقوق الأسرة؛ فالبيوت لا تستقر بوفرة المال ووسائل الراحة وحدها، بل بما يسودها من مودة ورحمة، وما يجمع أهلها من وقت واهتمام وحسن رعاية.

أخلاق يجب أن تسود داخل الأسرة

تقوم الأسرة المسلمة على منظومة من الأخلاق التي تحفظ تماسكها وتعزز استقرارها، وفي مقدمتها المودة والرحمة، والاحترام المتبادل، والرفق في التعامل، والصبر عند الخلاف، والتسامح عند الخطأ، والشكر والتقدير، والتعاون على أداء المسؤوليات، وقد أرشد النبي -ﷺ- إلى حسن التعامل مع الأهل فقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، فحسن الخلق داخل الأسرة ليس مجرد سلوك محمود، بل عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، وأساس تُبنى عليه الثقة، وتدوم به المودة، وينشأ في ظله الأبناء على القيم والأخلاق الفاضلة.

الأسرة مسؤولية مشتركة

لا يستقيم بناء الأسرة حين يطالب كل فرد بحقوقه ويتغافل عن واجباته؛ فالزوج مسؤول عن الرعاية والنفقة وحسن العشرة، والزوجة مسؤولة عن واجباتها الأسرية وحسن العشرة، والأبناء مطالبون بالبر والإحسان واحترام الوالدين، وحين يؤدي كل فرد ما عليه، تتحول الحقوق والواجبات من أسباب للتنازع إلى دعائم للاستقرار.

لا تجعل العمل يسرق حقوق أسرتك

السعي في طلب الرزق وتحقيق النجاح المهني أمر مشروع، لكن لا ينبغي أن يكون على حساب الأسرة وحقوقها؛ فالأبناء لا تكفيهم النفقة دون رعاية، والزوجان لا تغنيهما الوفرة المادية عن المودة والاهتمام، والأسرة المستقرة تحتاج إلى التوازن بين متطلبات العمل وواجبات البيت؛ فالنجاح الحقيقي ليس فيما تحققه خارج منزلك فحسب، بل فيما تبنيه داخله من حب وأمان واستقرار.

المقارنات تهدد الرضا الأسري

من أخطر آثار وسائل التواصل الاجتماعي أنها تدفع بعض الأزواج إلى مقارنة حياتهم بما يشاهدونه من صور الرفاهية والسعادة لدى الآخرين، فتضعف القناعة، ويتراجع الرضا، وتتضخم أوجه النقص، وتُنسى النعم الحاضرة، وقد أرشد النبي -ﷺ- إلى ما يعزز الرضا والقناعة، فقال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»؛ فالسعادة الأسرية لا تُقاس بمظاهر الثراء، وإنما بما يسود البيت من إيمان ومودة ورضا وقناعة.



فتاوى الفرقان

من فتاوى كبار العلماء

قال الله -تعالى-: ﴿فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «ألا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنما شفاء العيّ السؤال..» والعيّ هو الجهل، فيلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئا من أمر دينه أن يسأل عنه.

لا يجوز الحلف بغير الله -تعالى-

■ **ما حكم الحلف بغير الله؟**

● حكم الحلف بغير الله حرام، وهو شرك كما قال -ﷺ-: «من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك. لكنه من الشرك الأصغر، وقال -ﷺ-: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت»؛ فهو حرام، ونوع من أنواع الشرك، وعلى المسلم أن يترك الحلف بغير الله.

سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

تركُ الركوع خلف الإمام يبطل الركعة

■ **قرأ الإمام في الركعة الأولى من الفجر سورة النجم فكبَّر، فظننتُ أنه سجد للتلاوة فسجدتُ، ولكن حين رفع وقال: (سمع الله لمن حمده) تبين لي أنه ركع ولم يسجد، فتابعته ولم أركع، فهل تكون صلاتي صحيحة؟ وماذا يجب عليَّ أن أفعل؟**

● هذه الركعة التي تركتَ ركوعها بطلتْ، فعليك أن تأتي بركعة أخرى إذا سلَّم الإمام، ثم تتشهد وتسلِّم، لكن إذا لم تفعل ذلك في وقتها وطال الفصل، ولم تأتِ بهذه الركعة فعليك أن تعيد صلاة الصبح من أولها.

فضيلة الشيخ عبدالكريم الخضير

لا وصية لوارث

■ **امرأة تملك قيراطًا من الأرض ولها أبناء وبنات، وقد كتبت في وصيتها أن هذه الأرض توزع على أبنائها وبناتها بالتساوي، فهل يجوز ذلك وهل يعمل بهذه الوصية، أم تقسم تركتها بحسب شرع الله؟**

● الوصية للوارث لا تصح، لأن النبي -ﷺ- قال: «لا وصية لوارث» ، وقد أجمع أهل العلم على منع الوصية للوارث، وهذه الوصية أيضًا باطلة، من ناحية أنها تخالف شرع الله في أن للذكر مثل حظ الأنثيين، فهي وصية باطلة بكل حال، والأرض تقسم بعد الوفاة على الورثة بحسب ما شرعه الله -عز وجل- للذكر مثل حظ الأنثيين، والله أعلم.

سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

حكم بيع العملة القديمة بأكثر من قيمتها

■ **ما حكم أن يضع بعض الأشخاص عملةً قديمة للبيع على شكل مزاد؟**

● لا بأس في ذلك؛ لأن العملة القديمة التي بطل التعامل بها أصبحت غير نقد، فخرجت عن كونها ثمنًا وصارت سلعةً لها قيمة، تُباع وتُشترى بما يتراضى عليه الطرفان، فمن كانت عنده مثلًا فئةُ الريال الأولى الحمراء، أو فئةُ الخمسة أو العشرة التي أُبطل التعامل بها، فأراد أن يبيع ورقة العشرة بمائة، فلا حرج في ذلك؛ لأنها صارت سلعةً وليست نقدًا، ولا تُستعمل في التعامل أبدًا، إذ لا ترضى الحكومة باستعمالها، أما العملة التي ما زال التعامل بها جاريًا، كالدولار، فهي نقد لم يُبطَل، وقيمتها ترتفع وتنخفض بحسب قوة الدولة الأخرى، فكلما ضعفت الدولة ضعفت نقودها؛ فهذه لا يُقاس عليها حكم العملة المُبطَل التعامل بها.

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

يجوز دفع الزكاة إلى الزوج إذا كان محتاجا

■ **ما حكم دفع الزكاة إلى الزوج إذا كان محتاجاً مثل تسديد الديون؟**

● دفع الزكاة إلى الزوج إذا كان محتاجا لتسديد الديون جائز ولا حرج فيه، وقد حث النبي -ﷺ- على الصدقة ذات يوم فأخبرت امرأة عبد الله بن مسعود زوجها بذلك فطلب أن تتصدّق عليه وعلى أولاده، ولكنها سألت النبي -ﷺ- عن ذلك فقال: صدق عبد الله بن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدّقت عليه؛ ولأن الله -سبحانه وتعالى- ذكر أهل الزكاة بأوصاف معيّنة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، ولم يأت نص في الكتاب أو السنّة على أن الزوج لا تدفع له زوجته زكاتها، أو أن الزوج لا يدفع لزوجته زكاته فإذا تحقق الوصف، وصف استحقاق الزكاة في أي إنسان فإنه يجوز أن يُدفع له من الزكاة إلا إذا كان الإنسان الذي يدفع الزكاة للشخص يدفع بذلك حقا واجبا عليه، فإنه لا يجوز ومعلوم أن الزوجة لا يجب عليها الإنفاق على زوجها ولا يجب عليها قضاء دينه؛ ولهذا نقول: لو أن الشخص قضى الدين عن والده من زكاته وكان والده لا يستطيع الوفاء فإن ذلك جائز، ولو دفع الزوج زكاته في قضاء دين زوجته وهي لا تقدر على الوفاء فإنه لا بأس بذلك؛ لأنه يصدق عليهم أنهم من الغارمين.

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

توجيه لمن يهملون توجيه أولادهم للحفاظ على الصلاة

■ **تساهل الكثير من الناس في تربية أطفالهم، يبلغون الحادية عشرة، والثانية عشرة وهم مهملون لهم، هل من توجيه للآباء والأمهات؟**

● نعم، لا يجوز هذا، الواجب على الآباء والأمهات توجيه الأولاد ونصيحتهم، إذا بلغ سبعًا أن يؤمر بالصلاة، والمرأة والبنت تؤمر بالصلاة وتعلم، والولد كذلك يؤمر ويعلم، ويخرج به أبوه أو أخوه إلى المسجد، وإذا بلغ عشرًا يضرب؛ لقوله -ﷺ-: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» هذا هو الواجب، متى بلغ عشرًا فأكثر يؤمر بالصلاة مع الناس، ويضرب إذا تخلف، يضربه أبوه أو أخوه الكبير أو عمه، أما إذا بلغ الحلم، فإنها تجب عليه تكون فريضة، إذا تركها كفر، نسأل الله العافية أما ابن سبع وابن ثمان وابن تسع هذا يؤمر ولا يضرب، نعم، الله المستعان.

سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز

الباقيات الصالحات

■ **في الآية الكريمة يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ فما هي الباقيات الصالحات؟**

● الباقيات الصالحات هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وأمثالها، يقرّب إلى الله -عز وجل- وإن شئت فقل: الباقيات الصالحات كل الأعمال الصالحة؛ لأنها تبقى للإنسان بعد موته، يجدها يوم القيامة أمامه؛ فهذه الباقيات الصالحات خير من الدنيا وما فيها، خيرٌ ثواباً وخيرٌ أملاً .

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

ما بلغ نصابًا وحال عليه الحول ففيه زكاة

■ **المبلغ الذي يمضي عليه الحول وتخرج زكاته، ثم يمضي عليه حول آخر دون أن يتصرف فيه صاحبه، هل تجب فيه الزكاة؟**

● أفيدك، بأنه إذا كان لدى رجل نقود من المال تبلغ نصابًا، ومضى عليها حول وأخرجت زكاتها، ثم مضى عليها حول آخر، وجب على مالكها أن يخرج زكاتها، وهكذا كلما مضى عليها حول مادام أنها تبلغ النصاب. وفق الله الجميع لما فيه رضاه؛ إنه سميع مجيب.

سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز

كيفية كفارة اليمين

■ **حنثت في يمين؛ فما كفارته؟**

● من لزمته كفارة يمين لحنثه في يمينه، فإنه يخير بين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين كيلو ونصف من بر أو أرز أو من غالب قوت البلد، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام، وسواء أطعم المساكين أو كساهم في يوم واحد أو أطعمهم وكساهم في أيام متفرقة، ومن ظاهره الإسلام جاز دفع الكفارة له، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

لا يجوز الإسراع في المشي للصلاة

■ **إذا أُقيمت الصلاة فإن بعض الناس يأتي متأخرًا ومسرعاً ويقول: (إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ما حكم الإسراع للصلاة؟**

● قال النبي -ﷺ-: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» وفي رواية: «فاقضوا»؛ هذا هدي النَّبي -ﷺ-.

سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

261116



جنود ليسوا مجهولين

سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان
١٦/١١/٢٠٢٦م

• بين سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، أن الأصل في الدعوة أن يُجهر بها ولا تكون سريَّة؛ فيقول: «التعاون يكون بالسر ويكون بالجهر، والأصل أنه بالجهر، حتى يعلم السامع ما يقال ويستفيد»، وقد اعتدنا وصف العاملين المخلصين الذين يبذلون جهودهم بعيدًا عن الأضواء بأنهم «جنود مجهولون»، تعبيرًا عن تقدير عطائهم وتجردهم.

• غير أن هذا الوصف - على ما يحمله من معاني الوفاء- يستحق المراجعة حين نتحدث عن العاملين في ميادين الخير والعمل الإنساني؛ فهؤلاء الذين كان لهم دور مهم ومؤثر في تطوير العمل الخيري والارتقاء به، ليس من الإنصاف أن تبقى أسماؤهم وجهودهم مجهولة، ولا أن يظل عطاؤهم بعيدًا عن التقدير، فليس كل عمل خفيٍّ أفضل، ولا كل عمل ظاهر رياءً؛ وإنما العبرة بصلاح النية، ومشروعية العمل، وما يترتب عليه من خير ونفع.

• الأصل في العمل الصالح أن يبتغى به المسلم وجه الله -تعالى-، سواء أكان سرًا أم علانية، وقد جمع القرآن بين فضيلة الإخفاء ومشروعية الإظهار؛ فقال -سبحانه-: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)؛ فالصدقة الخفية أقرب إلى صيانة الإخلاص وحفظ كرامة المحتاج، بينما قد يكون لإظهار الصدقة مصلحة راجحة إذا كان فيه تشجيع للآخرين على البذل، وتحريك للهمم، وفتح لأبواب الخير؛ ومن هنا، فإن الحكمة ليست في إخفاء الأعمال على إطلاقها، ولا في إظهارها جميعًا، وإنما في تقدير المصلحة الشرعية، مع المحافظة على الإخلاص في الحالين.

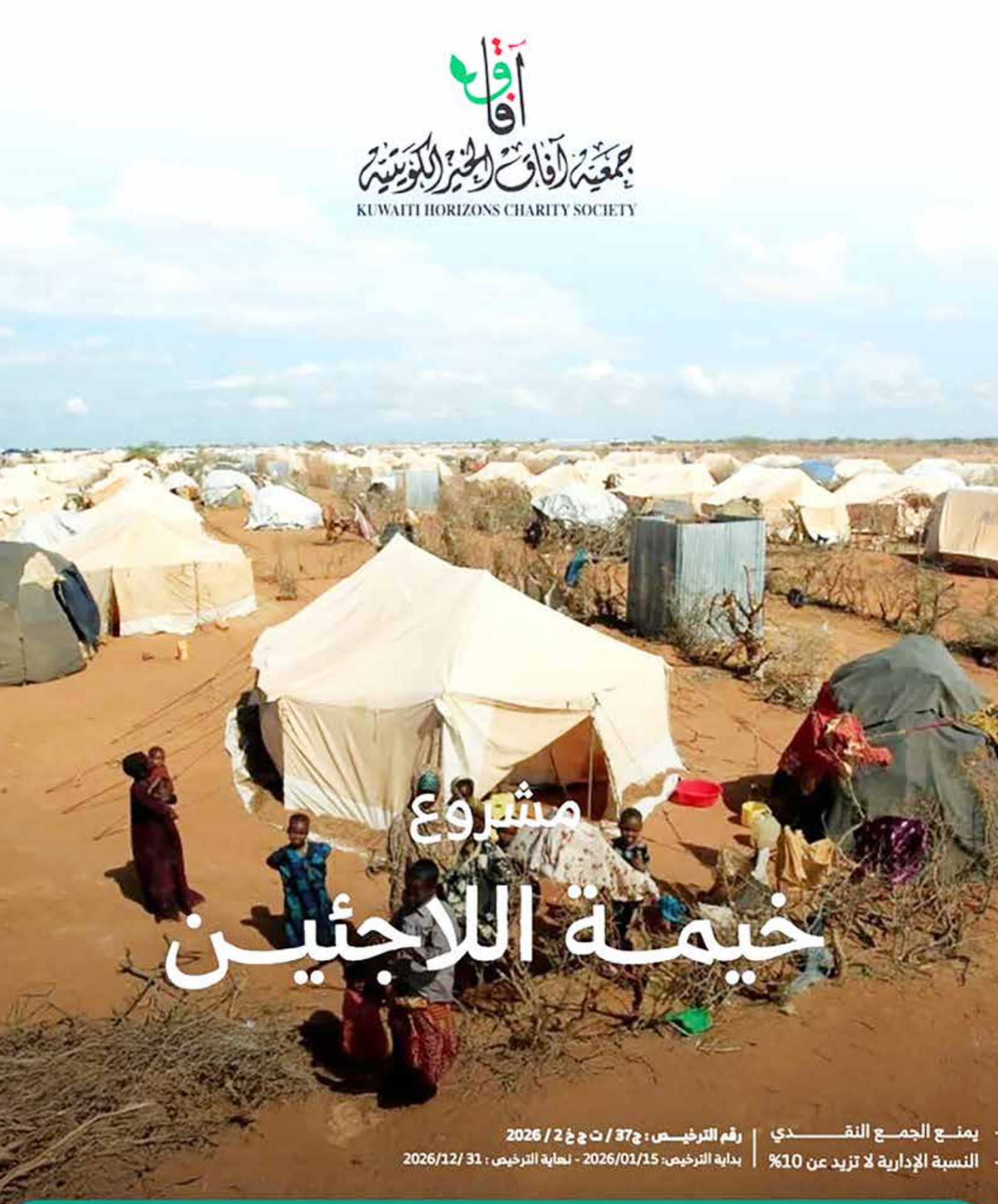
• إن العمل الخيري ليس مجرد مساعدات تقدم للمحتاجين، بل رسالة إنسانية وإيمانية تسهم في بناء ثقافة العطاء والتكافل داخل المجتمع، وحين نسلط الضوء على المبادرات الناجحة، والشخصيات الفاعلة، فإننا لا نوثق إنجازات فحسب، بل نقدم نماذج عملية للاقتداء، ونؤكد أن خدمة الآخرين مسؤولية مجتمعية يستطيع كل إنسان الإسهام فيها، وقد قال النبي -ﷺ-: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ» رواه مسلم. فإظهار نماذج العطاء الصادق قد يفتح أبوابًا من الخير لا تقف آثارها عند أصحاب المبادرة، بل تمتد إلى كل من اقتدى بهم وسار على طريقهم.

• لقد بذل العاملون في المؤسسات الخيرية جهودًا متميزة، وقد وصل عملهم إلى بلاد كانت في أمس الحاجة إلى المساعدات، وأسهموا في إغاثة المنكوبين، وكفالة الأيتام، ورعاية المحتاجين، وبناء المؤسسات التعليمية والصحية، وتنفيذ مشروعات تنموية، امتد نفعها إلى مجتمعات كثيرة، ومن الوفاء ألا نختزل هذه الجهود الهائلة في وصف «الجنود المجهولين»، بل أن نُعرِّف بأصحابها، ونقدر تضحياتهم، ونبرز أثرهم، دون مبالغة أو إغفال لفضل الله -تعالى-، وقد قال النبي -ﷺ-: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ».

• إن المجتمعات تحتاج إلى قدوات حية تجسد القيم في سلوكها وأعمالها، وحين يرى الشباب نماذج من العاملين في الخير، ويتعرفون على إنجازاتهم وتضحياتهم، يدركون أن النجاح لا يقاس بالمكاسب الشخصية وحدها، وإنما بما يقدمه الإنسان من نفع للآخرين؛ ولهذا، فإن إبراز هذه النماذج في الإعلام والمؤسسات التعليمية والمحافل المجتمعية ضرورة تربوية تسهم في تعميم مفهوم الخير، وتعزيز روح المبادرة والمسؤولية.

• إننا بحاجة إلى أن ننتقل من مجرد الثناء على «الجنود المجهولين» إلى التعريف بأهل العطاء وتقديرهم، لا طلبًا للشهرة، وإنما وفاءً لأصحاب الفضل، وتشجيعًا لأجيال جديدة على سلوك طريق الخير. فليظل الإخلاص خفيًا في القلوب، ولتكن آثار الخير ظاهرة في المجتمع؛ إذ ليس المطلوب أن نُخفي أصحاب العطاء، بل أن نُبرز عطاءهم ليكونوا قدوة، ويصبح الخير ثقافة تتوارثها الأجيال.

جمعية آفاق الخير الكويتية
KUWAITI HORIZONS CHARITY SOCIETY



مشروع
خيمة اللاجئين

يمنع الجمع النقدي
النسبة الإدارية لا تزيد عن 10%

رقم الترخيص : ج37 / ت ج خ 2 / 2026
بداية الترخيص: 2026/01/15 - نهاية الترخيص : 2026/12/31

AAFAQKW.ORG.KW
AAFAQKW | 97294994 | الرقعي - ق 1 - شارع 2 - قسيمة 41 - عمارة 8 - الدور 1

جمعية البلاغ المبين الكويتية



مشروع
الزكـاة

داخل الكويت

2.5 %

نقدمها لمستحقيها
وفق مصارفها الشرعية

- يمنع الجمع النقدي
- النسبة الإدارية 12.5 %

albalaghkw
+965 66559553